عدد خاص
العلوم عند العرب

75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية - المجلد السادس - العدد الرابع ١٣٩٨ - ١٩٧٧ م

الأواصر المتينة بين الأدب والطب

الأطباء الادباء اساة العقول والجسوم

بقلم الدكتور

مصطفى شريف العاني

بغداد ـ الجمهورية العراقية

مفردات البحث ومصادره

الادب والطب في اللغة ، التعريف القديم والحديث لهما ، منشأ تاريخ ادبنا وطبنا ، مركز اللغة العربية في العهد الاموي .. النثر الفني ، اللغة العربية العلمية في عهد العباسيين ، اتساع رقعة البلاد وتطور اللغة العلمية ، ظهور المترجمين عن اللغات الاجنبية ، مصادر تاريخ نهضتنا العلمية العربية في العصور الذهبية ، فهرست ابن النديم ، البيهقي القفطي ، ابن ابي اصيبعة ، وغيرها ، مؤرخو الطب الغربي الافرنج . لوسيان لوكلير ، دوساسي ، فلوجل ، بروكلمان ، وسيفلد ، دارنبرغ ، ليبرت ، متفوخ ، هيرشبرج ، مايرهوف، كامبل ، براون ، موللر .. الطب والادب في فجر الاسلام ، كلمات مقتضبة عمن ظهر من الاطباء الادباء في فجر الاسلام وفي العصر الاموي .، الحارث بن كلدة طبه وادبه ، النضر بن بن الحارث ، الطب النبوي الواقي . الطب والادب في العهد الاموي ، بعض اطباء هذا العهد ، احترافهم الطب دون الادب، مدرسة جنديسابور الرها (اديسا) مدارس حران ونصيبين ، تطور الادب والطب في العصر العباسي ، الفقه والحديث وكتابة الدواوين ، الاطباء الادباء عهد العلوم والفنون ، العلماء الاطباء الادباء ، السريان واثرهم في الثقافة في مطلع العهد العباسي ، آل بختيشوع ، يوحنا بن ماسويه ، حنين بن اسحق وولداه وابن اخته هم تراجمة طب الاغريق وعلمهم ، الفيلسوف الامير العالم والطبيب الشاعر الكندي ، احمد بن الطيب السرخسي ، المختار بن عبدون ، ابن بطلان البغدادي طبه وادبه معاصره ابن رضوان المصرى وجدلهما العلمي الطبي الادبي ، الحسين بن عبدالله بن الشبل البغدادي اطباء من بلاد العجم في اصلهم وعرب في طبهم وعلمهم وادبهم ، لماذا دعونا هم بالاطباء الادباء العرب من هؤلاء علي بن سهل، ابن الطبري ، الرازي ، علي بن الحسين بن هندو ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، بعض الادباء الاطباء في المغرب العربي والاندلس ، عائلة آل زهر ، عبدالملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر ، الايادي الاشبيلي ، ابو مروان محمد بن مروان معاصر ابن رشد وزميله ، اميه بن عبدالعزيز بن ابي الصلت، الطبيب الاديب المهندس ، الاطباء الادباء في مصر كثرة الاطباء اليهود واحتراف معظمهم الطب دون الادب، تظاهر بعضهم بالاسلام لغاية في نفسه ، اهتمامهم بجمع الكتب العلمية والطبية والادبية للمتاجرة بها ، بنو شاكر واهتمامهم بمختلف فنون المعرفة والعلوم وشيوع ذكرهم في بلاد مصر والشام ، اطباء بلاد الشام الادباء ، الفيلسوف الفارابي المعلم الثاني . هل امتهن الطب ؟ شيء من ادبه وفلسفته وشعره ، من اطباء الشام الادباء ابو الحكم عبدالله الباهلي الاندلسي المري ، الاطباء الادباء في الشام معظمهم من النصارى لماذا ؟ الكوارث التي حلت ببلاد العرب واضطراب سير العلوم والآداب والطب بعد سقوط بغداد . الادب والطب تحت حكم الدويلات بعد هولاكو، البلاد تحت الاحتلال العثماني ، الفوضى العلمية تنتشر في طول البلاد وعرضها ، الغرب يهتم بمخلفات العرب ، نشاط المستشرقين والمبشرين ظهور بعض الاطباء امثال داود الانطاكي وسيره على سيرة من قبله ، البلاد العربية تهزها الاضطرابات ، القاهرة تستيقظ لترجع ماضي بغداد بعد حملة نابليون ، البعوث العلمية الانفتاح العلمي يبدأ في مصر وبلاد الشام ، البعثات التبشيرية ، أثرها في النهضة العلمية ، الجامعة الامريكية في بيروت الكلية الطبية اليسوعية الفرنسية فيها ، اللغة العربية وموقفها من اللغات الاجنبية في المشرق العربي ومغربه ، المعهد الطبي العربي في دمشق ، المجمع العلمي العربي فيها ، خدمتهما للغة العربية العلمية والادبية ، الاعلام الذين وقفوا وقفة المجاهدين في سبيل احياء التراث العربي ، الطب والادب في العراق في العهد العثماني في عهد الانتداب البريطاني وعهد الاستقلال ، الادباء الاطباء المعاصرون في مصر ، سوريا ، لبنان ، العراق ، المغرب العربي ، دور التعريب ، انتشارها ، متى تصبح اللغة العربية لغة عالمية ، متى تظهر لنا لغة مستقلة ومدرسة عربية مستقلة تصبح مرجعا للعلوم والمعارف ؟؟ متى ؟؟

* * *

الادب والطب لفظان متشابهان في المعنى والغاية ، فالادب من معانيه الداب أي الاستمرار في العمل حتى يكون عادة ، ويقال : ان كلمة الداب انقلبت الى كلمة ادب ، وتدل على رياضة النفس على ما يستحسن من سيرة وخلق . وعلى التعليم

ورواية الشعر ، القصص ، الاخبار والانساب ، وقد اطلق بعضهم اسم الادب على التاليف عامة ، فقد ترجم ياقوت في كتابه معجم الادباء ، للمؤلفين في جميع فنون المعرفة ، ويقول التبريزي في شرح الحماسة عن الادب : كان الادب اسما لما يفعله الانسان فيتزين به الناس ثم تطور استعماله فصار يطلق على العادة ، وبعد اواسط القرن الثاني الهجري اطلق لفظ الادب على جميع ما ترجم ونقل من الالعاب والفنون ، كما اطلق جماعة اسم الادب على النظم والثقافات الضرورية لفئة من المجتمع ، ومما يروى عن الوزير الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦هـ قوله : ان الآداب عشرة ،العود، الشطرنج، الصولجان ، الطب ، الهندسة ، الفروسية ، الشعر ، النسيب، ايام الناس ، وثم مقطعات السمر والحديثوما يتلقاه الناس في المجالس .. كما عد الجاحظ الطب من الادب ،وكذلك فعل (اخوان الصفا) في رسائلهم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . اذ اطلقوا الادب على الفنون والصناعات ، والطب فن وصناعة .

اما الطب فهو مثلث الطاء ، علاج الجسم والنفس ، والسحر ، والرفق ، والارادة والعادة .

وبالفتح يجيء ايضا بمعنى الماهر الحاذق ، ولهذا فليس شيئا عظيما ان يكون الطبيب اديبا والاديب طبيبا ، وليس غريبا أن يتمازج الفنان الادب العربي والطب العربي .. ولا مرية في ان الطب نشأ مع الانسان ، ولكن تفاوتت درجاته كما تفاوتت غاياته فقد رافق المرض الانسان منذ الخليقة ، وأخذ يقاومه بمختلف المحاولات وشتى الطرق ليخفف آلامه وآثامه ، ولقد دلتنا التحريات الاثارية بصورة لا تقبل الجدل ، ان المرض كان يعالج بالسحر والخرافة والنجوم ، كما ارشدتنا الى ما هو مسجل باسم طب السومريين والبابليين الذينزحوا من شبه الجزيرة العربية الى وادي الرافدين حيث استقروا به . وكان يمثل الطب لديهم الكهنة والرجال المتميزون بخلقهم وادبهم وعلمهم وقابلياتهم ، وقد استمر السير على هذا الطريق طيلة قرون حتى عصر ما قبل الاسلام ، وظل الادب والطب متلازمين جنبا الى جنب ، فيكاد يكون الادب صفة ملازمة لكل من يمارس الطب باعتبار الاخير من المهن التي تميز صاحبها بالكمال والرجحان ، تحقيقا للمبدأ المتعارف عليه قبلا ، وهو أن على الاديب ان يحيط بكل شيء علما ، ومما يجب ان يعلمه الطب ، وان الفن الذي ينبغ فيه هو الذي يشتهر به ويطمس على ما تعلمه من فنون اخرى في الظاهر ، فالاديب الطبيب او الطبيب الاديب هو المتمكن منهما ولكن غلبت صفة الاديب او الطبيب احداهما الاخرى ، فالحارث بن كلدة الثقفي اشتهر بين قومه وبين جيرانه بقوة الحجة وصائب الحكمة ، وحضور البديهة ، كان حكيما ، اديبا ، طبيبا ، ولكن صفة الطب تمكنت منه وغلبت الصفات الاخرى بالشهرة فاشتهر بها ، وابو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن ابي الصلت كان طبيبا ممتازا وشاعرا فحلا تغلبت صفة الشعر فيه فاشتهر كشاعر . وهكذا ينظر كل امرىء الى الظاهرة المتجلية فيه فيضفيها عليه ، فالطبيب ينظر الى الشيخ الرئيس ابن سينا كطبيب لا كفيلسوف والفيلسوف ينظر الى الفارابي الفيلسوف لا الفارابي الطبيب.

ولقد قارن أحد المفكرين الادباء بين الاديب والطبيب بقوله : ان الاديب والطبيب أشبه بنحلتين تحومان حول زهرة واحدة تمتصان رحيقها لتسكباه عسلا صافيا فيإناءينمختلفين.. وعدا عن ذلك فالحقيقة تظهر لنا ان الاديب يسمو بمشاعره ويحكم حسه ويتعمق في دقائق المحسوسات ، شانه شان الطبيب الذي يبني فنه على المنطق والمحسوس ثم يحكم عقله ، والاديب يتحرى عن آفات المجتمع وعند اكتشافها يبدأ علاجه ، كالطبيب الذي يبني فنه على المنطق والمحسوس ثم يحكم عقله ، ذلك انه يدرس اعراض المرض وعند جمعها والبحث في دقائقهايكتشف المرض وعندها يقرر ما يراه من علاج ، فالاول طبيب مجتمع والثاني طبيب افراد ، والاديب يرهف الحس وينمي الملكة في افراد المجتمع ، ويجوس خلال آفاق بعيدة ليستشف ما في الاذهان وبعد تمحيص ما اكتشفه يعبر عن رأيه بما اكتشفه ، فهو اذن كالطبيب الذي يشخص الداء من اعراض مريضه يصف الدواء ..

اننا لا نشك في ان ادبنا وتاريخنا وفلسفتنا ومختلف علومنا العقلية والنقلية العربية ليست الا امتدادا للعصور التي مرت بها عبر التاريخ ، كما أن ادباءنا وعلماءنا ومؤرخينا المعاصرين مدينون بما بلغوه من ابداع في الانتاج واشراق في الاسلوب والابتكار الى ادبنا القديم وعلمنا التليد ، كما ان ذلك الادب ، وذلكالتاريخ وتلك الفلسفة والعلوم الاخرى دلتنا بمكاسبها واحداثها على معالم نهضتنا في الماضي وما كان لنا من شان في تطور الحضارة العالمية وتنسيقها ، وان اللغة العربية كانت الحارس الامين في الاحتفاظ بهذا التراث الثر الذي لا ينضب معينه . ولقد صانها وحفظهاكتاب الله المعجزةالخالدة، وأبى ان تطمس معالمها ويطفى اشعاعها كما طمست معالم لغات اخوات لها من قبل ، من هذه اللغة كان أدب وكان طب وكان علم ، كان ادبـاء وعلمـاء واطبـاء وفنانون ، نهـلوا من معينها ما شاؤا ولا نزال نستمد من ذلك التراث العلمي ومازلنا نحتاج الى النهل من معينه الرائق بالرغم مما بلغ اليه الانسان العربي المعاصر من تقدم علمي وفكري ساندتهما التقنية التي حرم منها اسلافنا . أما كيف ارتبطت بعض هذه الثقافات ببعض وكيف تمكنت اللغة العربية من تحمل العبء واصبح بالاستطاعة الاغتراف من معينها لكل علم وكل فن فيعود الى انها من اغنى اللغات مادة بين جميع لغات العالم ، كما يقرر ذلك المستشرق المجري فقيه اللغات عبدالكريم جرمانوس .

لقد احتفظ اهلها خاصة بعد ظهور الاسلام بكيانها وحفظوا لها كرامتها ولم يكن ذلك عسيرا عليهم فالقرآن بين ايديهم والبادية باقية على الاعتزاز بها والتفاخر بادبها وشعرها وامثالها وقصصها ، غير ان امتداد الفتوحات بعد ظهور الاسلام كان يهدد كيانها لما خالطها من بعض الالفاظ الدخيلة ، اذ بدأت الشعوبية السعي الى تشويه معالمها ودك حصونها ، ولما احس العرب الخلص منها ما بيتته نشطت منهم جماعات لجمع المادة الفصحى السليمة يدفعها دافع الغيرة على اللغة ودافع الدين والقومية ولتصونها من تحريف اصولها وقواعدها من قبل الموالي الدخلاء وجرها الى مجرد اداة للتعبير عن شؤون الدولة في الادارة والقضاء ثم اشاعة الالفاظ الدخيلة بين الجماهير من مختلف البلاد المغلوبة ، واتقاء لما كاد ان يحدث بدأ العرب الذين توجسوا خيفة من ذلك بحث العلماء الذين لا تزال النخوة العربية تفور نفوسهم ومن اندمج فيها من الاغراب عنها بدأ اولاء بجمع شتات اللغة ونبذ ما طرأ عليها من تبديل او تغيير ، ليكون من ذلك اساس للعلوم التي تفتحت أبوابها في هذه الامبراطورية الجديدة ، واخذ امناء هذه اللغة في تاليف الكتب لضبط اسسها وارساتها على قواعد ثابتة ، فوضع الخليل كتاب العين وتبعه سيبويه تلميذه با (الكتاب) كما قام ابو عبيدة والاصمعي في التاليف ، ثم تبع ذلك جمع التاريخ والف في الفقه . وفي فجر القرن الثالث

الهجري والقرن الثامن الميلادي كانت الدراسات التاريخية تؤلف بنثر فني ثم الدراسات الدينية وانتشر كتاب الدواوين . ثم جاء عهد الجاحظ٧٧٥-٨٦٨م ١٥٩-٢٥٥هـ ابو النثر المستحدث اذ ذاك برسائله ومؤلفاته العديدة في شتى فنون المعرفة وله الفضل في اشاعة الثقافة اليونانية التي احتضنها الخليفة المامون وانشأ لها بيت الحكمة لنقلها الى العربية، وقد كان الجاحظ قويا في أدبه ولغته التي تعلمها من منابعها من خطباء العرب في المربد في البصرة ورجال العلم في بغداد امثال الاصمعي والنظام ، وتدلنا تآليفه على مبلغ تضلعه وسلامة اسلوبه وبديع نثره فقد كتب في الدين والسياسة والفلسفة والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والطبيعيات والرياضيات ومن اشهر ما الفه كتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكتاب الحيوان ورسالة التربيع والتدوير .

وفي عهد المامون نشط الكتاب وتفاطر المترجمون من شتى الانحاء على بيت الحكمة ، يختارون من الذخائر ما يؤذن لهم بترجمتها الى اللغة العربية من مختلف لغات الحضارات التي سبقت الحضارة الجديدة فقد خلف الاغريق والرومان والفرس والهنود والقبط كنوزا من مختلف فنون الادب والطب والتاريخ والفلسفة . وبدات الترجمة بلغة غير واضحة المعالم ولكنها ما لبثت ان شقت طريقها بعد ان علا شان النثر الفني فاصبح اسلوبها واضحا سليما وربما فاقت الاصل المترجم منه في سلامة التعبير وسهولة الفهم .

ولقد كان الخليفة هرون الرشيد يقبل الفداء من المغلوبين المخطوطات من مختلف فروع العلوم والفنون بل وصلت به الحال ان يتقبل المخطوطات العلمية بما يعادلها ذهبا او فضة وبالميزان . بمثل هذا الاندفاع والاقبال تم نقل تراث ضخم في الطب والفلسفةوالمنطق والاخلاق والسياسة والفلكوالرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وغيرها من علوم وفنون لم يكن للعرب سابق عهد بها ، ولقد اخذ اسلوب الترجمة يزداد روعة ويزهو رونقه ، وامدت اللغة العربية المترجمين بما ارادوه من مفردات وصيغ ، اشتقوا بعضها اشتقاقا وعربوا البعض الآخر تعريبا ، واصبحت بغداد المامون موئلا لطلاب العلم من مختلف الارجاء ومركزا للاشعاع ينشر الاضواء من المخلفات الرائعة لمؤلفات ابيوقراط وفيثاغورس وافلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس وديسقوريدس واقليدس وارشميدس . وعرفت الامة العربية بفضل ادبها ولغتها طب ابيوقراط وفلك بطليموس وهندسة اقليدس وعلوما اخرى من علوم المهدين الاغريقي والاسكندري ، واحتضنت هذه اللغة برحابة صدر الفاظا معربة كالاوبطيقا ، والجومطريا والاسطرونوميا والميتافيزيقا والارثماطيقا والماثيماطيقا من اسماء العلوم ومن المفردات كلمات شاعت في مؤلفات العلماء العرب كلفظ الخيموسس والكيموس والفلغمون ، فذاع العلم وشاع في الحواضر والمدن من بغداد الى دمشق والقاهرة وبلاد المغرب فالاندلس وكانت مساجدها جامعاتها ، كما كانت قصور الخلفاء ودور الامراء ودور العلماء تزدان بمجالس العلم والادب ، ويجب ان لا ينكر ما كان من دور هام لمؤسسات سبقت بغداد ودمشق والقاهرة في نشر الثقافة الاغريقية والرومانية والتي اسس معظمها السريان النسطوريون في الرها ونصيبين وقنسرين وانطاكية وجنديسابور فقد فتح الخلفاء لعلمائها واطبائها صدورهم واستقبلوهم واكرموا مثواهم . وامتدت حدود الامبراطورية العربية الاسلامية من الصين شرقا الى حدود فرانسا غربا الى الاطلسي شمالا ونبع في هذه الامبراطورية من اتباعها العرب والعجم المستعربين نوابع وعلماء انكبوا على التعليم بلغةعربية واسعة الافق وظهر لكل عالم مجموعات من المؤلفات في مختلف العلوم ، وما كاد ينتشر ويعم الورق المصنوع في الشرق الاقصى الى حواضر الامبراطورية العربية في منتصف القرن التاسع الميلادي حتى سهل الاتصال الفكري بين مراكز الثقافة ، فمن سمرقند الى القيروان ومن بغداد الى الاندلس ، فكثرت الترجمة وكثر المؤلفون وظهرت الفلسفة العربية الجديدةوالطب العربي الجديد بفضل المترجمين عن اليونانية واللغات الاخرى الى السريانية فالعربية ثم لم يلبث ان اخذ التراجمة بعد ان كثر عددهم وتمت معلوماتهم وازداد تلقههم باللغة العربية يترجمون من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية مباشرة ، ثم اخذ التاليف باللغة العربية مباشرة من قبل من ظهر شانهم وعلت مقدرتهم بالعلوم التي تلقوها كالكندي والرازي وابن سينا والفارابي ، ومع ان تآليفهم كانت علمية المظهر ولكن طابع النثر الفني العربي ظاهر في اسلوبها حتى ان مؤلفات الرياضة وتقويم البلدان والفلك كان يبدو عليها المسحة الادبية بصورة واضحة بالرغم من موضوعها العلمي .

وتطور النثر الفني ونشط التاليف بظهور المعتزلة واشتداد المقاومة ضد الفلسفة اليونانية فهرع العلماءالمسلمون الى زيادة التاليف في الفقه واصوله وظهرت كتب الحديث للبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنيسابوري ومسند ابن حنبل ، وبانتشار البحث العلمي والتاليف تطور الادب والنثر منه بصورة خاصة وكثر التاليف في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات ، وان القارىء لمؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيروني وجابر والخوارزمي والرازي وابن النفيس والزهراوي والصوفي وابن يونس وابن العوام وغيره ليتملكه الاعجاب والاكبار باسلوبهم العلمي الاخاذ ولغتهم العربية السليمة ، كانت اللغة العربية بين ايديهم مطواعة ايجابية بما حوته من مصطلحات هذه العلوم المختلفة وقد استخلصوا من الكتابات اليونانية المهم ووضعوها في قالب واضح تاركين كل ما كان لا لزوم له . ويقول كيومستون في كتابه تاريخ الطب«تكفي المقابلة بين كتابات جالينوس وكتابات ابن سينا فالاول مبهم والثاني في غاية الوضوح والترتيب ظاهر في الثاني ومفقود في الاول » . وقال عنهم المؤرخ سارتون ، لولا اعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوربية ان يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتاخر سير المدنية عدة قرون » . كما يقول التاريخ : انه لو لم يعقالنهضة العربية تفشي الشعوبية وانشقاق الحكام بظهور الدويلات في الامبراطورية العربية الاسلامية ولولا هجمات المغول والتتر والترك والاستعمار الاوربي لكانت نهضة العرب ولكان عصرها الذهبي اللذان انتقلا الى اوروبا والتي تفاخر بهما نقول لولا ذلك لبقيت اللغة العربية لغة العلوم والفنون ، لم يكن قول هؤلاء اعتباطا بل كان نتيجة دراسات دقيقة وتحريات طويلة في بطون الخزائن ومختلف دور كتب العالم وفي اعماق السراديب . قام محترفون وهواة من المؤرخين والعلماء في التنقيب والبحث في مختلف مكتبات العالم الغربية منها والشرقية فمن باريس الى لندن ومن استانبول الى ليننغراد الى ليدن ومن القاهرة الى الاسكوريال في مدريد ومن سالرنو ومونبيلية الى القيروان ومن بغداد الى طليطلة واشبيلية ومن النجف الى مختلف اقطار العالم . وكانت حصيلة تلك الجهود العثور على ملايين المخطوطات سجلتها فهارس مطبوعة من قبل اولئك الرواد الباحثين وفي مكتبة الجامعة العربية منها الالوف منالمخطوطات التي ابتاعتها وصورت منها ما يقرب من الثلثمائة الف مخطوط، عدا ما لا يزال محفوظا في بعض المكتبات الخاصة التي ضن بها اصحابها ولم يشيروا اليها او يأذنوا بعرضها .

لقد اغنتنا كتب السير وفهارس المخطوطات والمطبوعات بالعديد من العلماء المؤلفين والمفكرين والادباء الاطباء في مختلف اقطار العرب قديما وحديثا واوضحت لنا الفروق بين اولئكم وهؤلاء ، وكثرتهم من قبل وقلتهم من بعد فعللوا السبب بقولهم ان ذلك يعود الى الحافز ، فالسابقون الاولون من العلماء والاطباء العرب كان يدفعهم الى ذلك حب المعرفة التي تميز صاحبها بالكمال والرجحان لا حب المادة التي يريدون بها العيش الرغيد ، فالاولون علماء زاهدون والآخرون علماء مادبون، ولقد ايدت لنا كتب السير ما عني بقولنا . ولقد اعتمدنا فيما ذكرناه وما سنذكره على مصادر موثوقة اعتمدها العلماء العرب والمستشرقون في ابحاثهم ومؤلفاتهم . نذكر من ذلك اشهرها . فمنها كتاب كتاب صوان الحكمة لابن علي سليمان بن محمد بن طاهر السجزي وكتاب الفهرست لمحمد بن اسحق النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ وكتاب التعريف بطبقات الامم للقاضي صاعد بن احمد الطليطلي المتوفى سنة ٤٦٢ وكتاب حكماء الاسلام تتمة صوان الحكمة للبيهقي المتوفى سنة ٤٦٢ وتاريخ الحكماء للوزير جمال‌الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ عدا الكتب الحديثة التي سنوردها في آخر البحث . ولقد اعتمدنا في الدرجة الاولى فيما سنورده في بحثنا وكان في طليعتها كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء الذي الفه الطبيب الفاضل والاديب المحقق موفق‌الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة المولود سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٣م واتم كتابه في سنة ١٢٤٥م وقد تتلمذ على الطبيب العشاب ابن البيطار وعلى غيره من علماء واطباء عصره منهم والده وبعد ان تبوا مركزه العلمي والطبي اختاره امير صلخد لخدمته في حوران . كان شاعرا واديبا كما كان طبيبا فاضلا ، وقد جمع في مؤلفه (عيون الانباء بمجلدين معلومات دقيقة ودراسات علمية عن حياة الاطباء ومؤلفاتهم منذ عهد الاغريق الى عصره . وقد قدم منه نسخة مكتوبة بخط جميل بيده الى الوزير امين الدولة في دمشق حيث مارس الطب فيها كما مارسه في مصر وقد توفي سنة ٦٦٨ هـ) .

ولقد نهلنا من كتابه الضخم معلومات ادبية وطبية جليلة ، كما استقى غيرنا من مؤلفين ومؤرخين ومستشرقين من هذا المنهل العذب ، حتى ان المستشرق الالماني هيرشبرج استاذ امراض العيون في جامعة برلين في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي الذي الف موسوعة في تاريخ الطب تقع في سبعة مجلدات ضخمة كان يعد عيون الانباء من اوثق المصادر وقد استخلص منه كثيرا من المعلومات ووجد انه ترجم حياة ومؤلفات ما يزيد على الثلاثة والثلاثين طبيبا من اطباء العيون لمظلمهم آثار في الطب والادب وغيرهم من اطباء الاختصاص الآخرين ، وقد استند ابن ابي اصيبعه فيما كتبه على اوثق المصادر التي الفها ثقاة وعلماء من قبله من المؤرخين والاطباء ، وعلى من سمعه وشاهده بنفسه ، وما مارسه في حياته العملية الطبية والادبية .

وقد ذكر في مقدمة كتابه : خدمت به خزانة المولى الصاحب الوزير العالم العادل ، الرئيس الكامل سيد الوزراء ملك الحكماء امام العلماء شمس الشريعة امين الدولة كمال‌الدين شرف الملة ابي الحسن بن غزال بن ابي سعيد ادام الله سعادته وبلغه في الدارين ارادته ... لقد كتب‌ابن ابي اصيبعه في كتابه عن حياة ما يزيد على الاربعمائة طبيب ، كتب عن الادباء الاطباء منهم وعن مؤلفاتهم وشعرهم ونثرهم ، كما اعطانا صورة واضحة عن الحياة العلمية والادبية والطبية والاجتماعية ، واستهل كتابه بمقدمة عن الطب منذ خلق الانسان . ثم تناول عهد الاغريق ورجالاته وما كان لهم من فضل على الطب العربي وعلى الاطباء العرب واخذ يسلسل حياة الاطباء الاغريق من عهد اسقيبليوس وسلالته التي نشات من بعده ويخص بالذكر افلاطون وابيوقراط ومن جاء بعدهما ، وينشئ بعد ذلك الى الطب الروماني حيث يخص بالذكر جالينوس ومؤلفاته ومدرسته وعن يحيى النحوي الاسكندراني، ولا يلبث ان يصل الى الطب العربي وتاريخه ورجالاته ،وبهذا اصبح كتابه من اوثق واغنى المراجع العلمية والتاريخية والطبية . ولم يقتصر على الطب والادب بل تعداه الى الحقول الاخرى التي اشتهر بها رجالات كتابه ، ويجد الباحث فيه عن مثل هذه الفنون ثروة علمية لا تتوفر في غيره ، لذلك كله اعتمده معظم الباحثين والعلماء العرب والمستشرقين .

هناك مؤرخون وباحثون من مؤرخين وباحثين من العرب والمستشرقين وغيرهم كتبوا عن الاطباء والادباء العرب والمسلمين بصورة عامة دون دراسة علمية دقيقة وانما كانت كتاباتهم لا تتعدى كتابة السير من هؤلاء ابن خلكان (القرن الثالث عشر الميلادي) في كتابه وفيات الاعيان حيث كتب فيه عن سيرة نحو من ثمانماية وسبعين شخصية من مشاهير العلماء ، الاطباء الادباء والمؤرخين من المسلمين ، كما كتب في ذلك ابن خلدون والمقري والمقريزي والسيوطي وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ، كما كان هناك بعض الرحالة العرب من تناول سيرة بعض الادباء الاطباء في لقاآتهم كابن جبير في رحلته وعبداللطيف البغدادي في كتابه « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بمصر . وقد كان هذا اديبا وطبيبا وفيلسوفا سائحا ، كتب عن سياحته في مصر وسوريا والعراق كتب عن ما شاهده من مؤسسات ومن لقيه من علماء وادباء واطباء وهو موصلي الاصل بغدادي المولد ٥٥٧ - ٦٢٩هـ .

اما مؤرخو الطب العربي الافرنج فقد استقوا معلوماتهم من المخطوطات العربية ومما وجدوه في خزائن اوروبا منهاوياتي في طليعتهم الاستاذ الالماني هيرشبرج الذي كان مختصا بطب العيون وتاريخ الطب وقد كان يساعده فيما يتعلق بتاريخ الطب العربي كل من المستشرقين متفوخ وليبرت ومان ، ثم المستشرق الفرنسي لوسيان لكلير حيث كتب عن تاريخ الطب العربي مجلدين ، ويعتبر كتابه من خيرة الكتب المعتمدة في الطب العربي وادباء الاطباء ذلك ان اطلاعه على المؤلفات الطبية العربية وعلى ما يقابلها في اللغة اللاتينية المترجمة منها او المترجمة اليها ووقوفه على ما كتبه الغربيون عن الادب والطب العربيين جعل لكتابه قيمة علمية خاصة ، وقد رتب فيه‌الاطباء العرب وفق العصر الذي عاشوا فيه وحسب البلاد التي عملوا فيها ، وبين المؤرخين الافرنج للتمدن العربي وعلومهم المستشرق (فلوجل) الذي عني بطبع كشف الظنون مع ترجمته الى‌اللاتينية الذي الفه حاجي خليفه وقد اخرجه في سبعة مجلدات ، ومن المستشرقين الذين عنوا بتاريخ الطب العربي وتاريخ الادب ، دارمبرغ ووبستنفلد وبروكلمان وسارتون وكامستون ، ودي ساسي ، وموللر ، وبراون ، وكامبيل وماكس مايرهوف . كل هؤلاء وغيرهم كتبوا وحققوا عن الطب العربي وعن الادباء الاطباء، وشهدوا بما كان عليه الطب العربي وما كان من شان للاطباء الادباء في تطور النهضة الحضارية العربية في عصورها الذهبية..

ولقد اراد اديب كبير وطبيب مؤرخ من العلماء المصريين ان

ينحو منحى ابن ابي اصيبعه في دراسة من ظهر من الاطباء والاطباء الادباء بعد ابن ابي اصيبعة ، ذلكم هو المؤرخ الاديب الطبيب العالم البحاثة الدكتور احمد عيسى ، فوضع معجما سماه « معجم الاطباء » من سنة ٦٥٠هـ الى يومنا واطلق عليه (ذيل عيون الانباء في طبقات الاطباء لموفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفه المعروف بابن آبي اصيبعه المتوفى بصرخد سنة ٦٦٨ هـ) . وقد جاء في مقدمة هذا المعجم« لقد كان سبق العرب في وضع تاريخ العلوم ورجالها ، فقد عنوا بوضع دواوين التراجم للعلماء من كل فن ومطلب ، فترجموا للصحابة والمحدثين ، والفقهاء من مختلف المذاهب وترجموا للمفسرين والقضاة والصوفية والولاة والاعيان والملوك والامراء والرؤساء والمؤرخين واللغويين والنحاة والاطباء والحكماء ، وللنساء ، بل قد ترجموا لاهل كل عصر على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وكان للاطباء من ذلك حظ وافر من العناية والتسجيل ، فقد وضعت الكتب المطولة في سيرهم وتاريخهم ، منها المطول ومنها الموجز ، وبعضها قد لعبت به يد الزمان فاصبح اثرا بعد عين ، والبعض لا يزال موجودا . الخ . معجم الاطباء ، الدكتور احمد عيسى بك ص ٣ » .

ان هذا الكتاب بالرغم من تسميته ذيل عيون الانباء لكنه لم يسر فيه على الطريقة التي سار عليها صاحب عيون الانباء فقد كانت طريقة تراجمه مغايرة لطريقة ابن ابي اصيبعه الذي صنف كتابه حسب النشاة الاولى للاطباء وحسب بلادهم ومقر عملهم ، اما ذيل المعجم فقد صنفه مؤلفه حسب الحروف الهجائية لاسماء الاطباء وليس على تاريخ وجودهم او مواقع بلادهم ، وبالرغم من ذلك فقد جاءت اسماء وتراجم حوالي تسعماية طبيب وطبيب اديب نقلها كما وردت من مصادرها كما جاء في مقدمتها ، وقد ذكر ما يقرب من ثمانية وسبعين مصدرا من المصادر العربية الموثوق بها .

وها انا ساتبع طريقة ابن ابي اصيبعه في ذكر بعض الادباء الاطباء بالنسبة للبلد الذي اشتهروا فيه وبرزت فيه مواهبهم مبتدا بالاطباء الادباء الذين ظهروا ابان الدعوة الاسلامية ، وسااقصر بحثي على القليل ممن علت شهرتهم ، وكانوا اعلاما في طبهم وادبهم .

١ ـ الحارث بن كلدة الثقفي (ت ٦٧٠م) طبيب وحكيم واديب ، من الطائف ، غادرها الى مكة ، فبلاد فارس ، حيث تعلم الطب فيها بمدرسة جنديسابور على أيدي الاطباء السريان النساطرة ، وتمرن هناك لمعرفة الداء والدواء . كما تعلم ضرب العود ببلاد فارس واليمن ، وقد سمي طبيب العرب وقد رجع الى مكة ليحترف مهنة الطب ، عاصر الرسول (ص) ، وقد روى ان سعد بن ابي وقاص (رض) مرض بمكة فعاده الرسول (ص) وقال : ادعو له الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب ، فلما عاده الحارث نظر اليه وقال ليس عليه باس . اتخذوا له فريقه بشيء من تمر عجوة وحلبة .. يطبخان فتحساها فبرىء » .. كان يرجع اليه في الملمات بمناسبات مرضية عديدة ، وكما اشتهر بطبه ، فقد اشتهر بادبه وحكمته ، فمن ذلك خطبته البليغة امام كسرى انوشروان ، والتي اظهر فيها ما للعرب من مقام كريم وطب قويم ، وقد اشتهرت بقوة الحجة والادب الرفيع ، والتي لا تزال مضرب المثل في اسلوبها الادبي وحكمتها العميقة . توفي الحارث في عهد معاوية ، قيل ان معاوية ساله في اواخر ايامه : ما الطب يا حارث . فاجابه الازم . يعني الجوع ، ذكر ذلك ابن جلجل ، وقال الجوهري في الصحاح : الازم ، المسك . يقال : ازم الرجل من الشيء امسك عنه . وقيل : ان عمر بن الخطاب سال الحارث : ما الدواء ؟ فقال : الازم يعني . الحمية . وها نحن نذكر نبذة من خطبته المطولة امام كسرى ومحاورته معه في اثنائها وذلك حين قدم اليه مع وفد من عيون العرب وبلغائهم حين طلب كسرى التعرف على فوقشوكتهم ، وما بلغه عن ابائهم وكبريائهم، فلما اذن لهم بالدخول اليه اخذ يسال كل واحد منهم ما يعن له فكانوا يجيبونه بما يذهله . ولما جاء دور الحارث قال له : من انت ؟ قال : الحارث بن كلدة الثقفي ، قال : فما صناعتك؟ قال الطب . قال اعرابي انت ؟ قال : نعم من صميمها وبحبوحة دارها ، قال كسرى : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء اغذيتها ؟ قال الحارث : ايها الملك . اذا كانت هذه صفتها كانت احوج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس ابدانها ويعدل امشاجها ، فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويميز موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه .. واستمر كسرى يسال والحارث يجيب الى ان ساله كسرى فما الذي تحمد من اخلاقها او يعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحارث : ايها الملك : لها انفس سجية وقلوب جرية ، ولغة فصيحة والسن بليغة وانساب صحيحة واحساب شريفة ، يعرق من افواههم الكلام مروق السهام من نبعة الرام ، اعذب من هواء الربيع والين من سيل العين ، مطعموا الطعام في الجدب وشاربوا الهام في الحرب لا يرام عزهم ، ولا يضام جارهم ولا يستباح حريمهم ولا يذل اكرمهم ولا يقرون بفضل للايام الى آخر ما في خطبته من بليغ القول ورصين الكلام وصدق المنطق وقوة الحجة ، ذلك ما دعا كسرى ان يلتفت الى من حوله بعد ان استوى جالسا ، وقال: اني وجدته راجحا ولقومه مادحا وبفضيلتهم ناطقا وبما يورده من لفظه صادقا وكذلك العاقل من احكمته التجارب ، ثم امره بالجلوس فجلس . وقال له : كيف بصرك بالطب ؟ قال ناهيك: قال كسرى : فما اصل الطب ؟ قال الازم ، قال كسرى : فما الازم ؟ قال : ضبط الشفتين والرفق باليدين . قال : اصبت. قال كسرى : فما الداء الدوي ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام ، هو الذي يغني البرية ويهلك السباع في جوف البرية . قال : اصبت ، وبعد ان افرغ كسرى ما في جعبته ، اخذ بيد الحارث وقال له : لله درك من اعرابي ، لقد اعطيت علما وخصصت فطنة وفهما ، ثم احسن صلته .

وكان للحارث نظر بعيد في الطب يدل على براعته فيه وشدة ذكائه ، فمما رواه ابن ابي اصيبعة عن احدى مشاهدات الحارث الطبية : ان اخوين من بني كنه كانا يتحابان ، لم ير قط احسن الفة منهما ، فخرج الاكبر الى سفر بعد ان اوصى الاصغر بامراته، فوقعت عينه عليها يوما غير متعمد لذلك فهويها وضنى ، وقدم اخوه فجاءه بالاطباء فلم يعرفوا طبه ، الى ان جاءه الحارث بن كلدة فقال : ارى عينين محتجبتين وما ادري ما هذا الوجع وساجرب ، فاسقوه نبيذا ، فلما عمل النبيذ فيه قال (الهزج)

الا رفقا الا رفقا
فليلا ما اكونه
الما بي الى الابيا
ت بالخيف الدهن
غزالا ما رايت اليو
م في دور بني كنه
اسيل الخد مربو
ب وفي منطقه غنه

فقالوا للحارث : انت اطب العرب ، قال فطلقها أخوه ثم قال تزوج بها يا أخي . فقال : والله لا اتزوجها فمات وما تزوجها ، وللحارث كتاب في المحاورة بينه وبين كسرى أقتبسنا بعضا منها .

وقد روي للحارث ابيات من الشعر في الحكم منها هذان البيتان :

من الناس من يغشى الاباعد نفعه
ويشقى به حتى الممات اقاربه
فان يك خير فالبعيد ينساله
وان يك شر فابن عمك صاحبه

٢ ـ النضر بن الحارث بن كلدة : اشتهر النضر بالطب والادب بعد أبيه وكان قد تعلم منه الطب ثم ذهب الى بلاد فارس ليزداد علما في الطب فانتسب الى مدرسة جنديسابور، وتشبعت افكاره بكبرياء الفرس وغطرستهم مع انفة العرب وخيلائهم فجاء متطببا الى مكة داعيا الى الشرك ومقاومة الدعوة الاسلامية ، وكان يقف دونها بالمرصاد ، وينادي اني استطيع ان انزل مثل ما انزل الله . وكان يتصدى للرسول في كل مكان ، وكثيرا ما كان يجمع الناس ويلقي بينهم تعاليم تخالف تعاليم الرسالة الاسلامية بخطبه البليغة ولم يتخلف عن قتال محمد (ص) في غزوة بدر معتزا بما اوتي من قوة الحجة وصلابة المبدا وقد تعلم كثيرا من كتب الحكمة والادب في اثناء تجواله ودراساته في بلاد فارس والتقى بالكثير من الاحبار والرهبان والفلاسفة ، وبظهور الدعوة الاسلامية والى ابا سفيان في العمل ضدها وقد اكل الحقد قلبه بما كانت تسول له نفسه من كره وحسد للنبي (ص)ودعوته . وقد فاته ان النبوة والرسالة اعظم من أن يقاومها بوسائله ولم يقرأ ما قاله افلاطون في كتابه (النواميس) « ان النبي وما يأتي به لا يصل اليه الحكيم بحكمته » . ولما انتصر الرسول(ص) في غزوة بدر وقتل معظم قواد قريش من المشركين كما أسر البعض الآخر ، منهم من دفع الفدية ففك اساره ، وكان النضر من جملة الاسارى هو وعقبة ابن معيط وقد أمر الرسول (ص) بقتلهما بعد منصرفه من بدر وقبل وصوله الى المدينة في محل قريب من الصفراء . ويحدث الطبري في تاريخه عن ذلك بقوله :

ان النبي (ص) في يوم بدر أمر بقتل عقبة بن معيط صبرا، أمر عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الانصاري فضرب عنقه ، كما امر الامام عليا (ع) أن يضرب عنق النضر بعد أن نفذ بعقبة بن معيط ، بالرغم من وجود صلة قرابة بين الرسول(ص) و النضر .

ولقد رثته اخته قتيلة بنت الحارث بابيات رقيقة منها :

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وانت موفق
بلغ به مبتا فان تحية
ما ان تزال بها الركائب تخفق
منى اليه وعبرة مسفوحة
جاءت بدرتها واخرى تخنق
فليسمعن النضر ان ناديته
ان كان يسمع ميت او ينطق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه
لله ارحام هناك تمزق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
امحمد ولانت نسل نجيبة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر اقرب من اخلت بزلة
واحقهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته
باعز ما يفدى به من ينفق

قال ابو الفرج الاصبهاني فبلغنا ان النبي (ص) قال : لو سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته .

هاتان الشخصيتان ، الحارث وابنه النضر كانا من الذين اشتهروا في طبهم وادبهم قبل ظهور الاسلام واستمرا بعده . على ان هناك كثيرين من المتطببين ، ساروا على نهج من سبقهم من آبائهم واجدادهم ، كان منهم من يطب بالتعاويذ والسحر والنجوم والدعوات الى الآلهة بالاضافة الى ما عرفوه من خواص بعض الاعشاب والحشائش وبعض المعادن ومخلفات بعض الحيوانات من اعضائها وفضلاتها . اما في خارج الجزيرةالعربية ابان الدعوة ، فقد كانت حضارة متوطدة ، كان طب وادب وفلسفة ، كانت العلوم الانسانية سائدة في ربوع البلدان المجاورة ، وكان ظهور الاسلامحدثا عظيما هز عرشامبراطوريتين عظيمتين ، كانتا تتحكمان في الشرق والغرب ، الفارسية والرومانية ، وقد كان على الرسول (ص) ان يقف موقفالحزم امام هاتين الامبراطوريتين ، لتادية الرسالة التي اوحاها الله اليه . وقد بدأت الدعوة وانبث الدعاة يبشرون بها ، بلغة عربية فصيحة سليمة، شرفها القرآن الكريم بنزوله بها ، وكانت تسير بها الدعوة بين مختلف الارجاء ، بمبادىء سامية وتعاليم، لم يات بها نبي من قبل ، ومن اولى تلك التعاليم التبصرة والتفكير في خلق الله وكانت آية (وفي انفسكم افلا تبصرون) عظة وذكرى للانسان كي يعرف نفسه قبل كل شيء ليرى ويفكر في ما خلق الله ، وجاء الرسول ليقول العلم علمان ، علم الابدان وعلم الاديان ، ولقد كانت حضارة واضحة المعالم لدى تلك الامبراطوريتين آنفتي الذكر ، لم تصل معالمها الى الجزيرة العربية ولكن الرسول عرف ربه وعرف نفسه واخذ يبث مايوحي اليه فابتدأ اتباعه يتبعون وصاياه وتعاليمه حتى عرف ما كان يوصى به من عناية ورعاية بالطب النبوي ، وقد كان طبا واقيا او ما ندعوه الآن بالطب الوقائي ، اذ كان عليه السلام يحث به على الوقاء من الامراض ، بالاتقاء والوقاية والتقوى وكلها تلح على العناية التامة بالصحة البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية ، وذلك مما يدل على ان الطب النبوي جاء بتعريف الصحة والعناية بها من قبل ان تعلنها وتعرفها منظمة الصحة العالمية في اواسط القرن العشرين ١٩٤٨م . وهناك احاديث صحيحة كثيرة سجلتها الصحاح الستة وكتب تاريخ الطب .

وتولى الرسول عليه السلام سنة ٦٣٢م وجاء بعدهخلفاؤه وساروا على نهجه وانتهت خلافتهم في سنة ٦٦١م بقيام الدولة الاموية التي استمرت بالفتوحات وتركيز سيطرتها ورعاية ما امتلكته . ومن الجدير بالذكر ان معظم البلاد التي افتتحت كانت تمج بمختلف الحضارات التي كان مصدرها حضارات الهند وبلاد فارس والاغريق والرومان ، كما كان يدين اهلها

بمختلف العقائد والديانات سماوية ووثنية ومجوسية ، ولذلك لم توجه همة العرب الفاتحين الى الوجهة العلمية في بادىء الامر ذلك لانهم حرصوا على تثبيت دعائم ملكهم والقضاء على الجيوب المتخلفة والمتبقية من البلاد المغلوبة ، اضف الى ذلك ان تلك البلاد كانت غنية باطبائها وعلمائها ومثقفيها ، ولذلك لم يسع العرب في اثناء اتساع رقعة فتوحاتهم الى الاستفادة مما وجدوه من ثقافة وعلم وفن حيث كانت تمتد مملكتهم في العهد الاموي من الاطلس الى الصين ، غير انه مما يروى عن الامير خالد بن يزيد بن معاوية الذي لم يوفق الى ولاية العهد من ابيه يزيد ، اضطر او رغب في دراسة بعض العلوم ومنها الكيمياء ، واستقدم بعض العلماء الرومان من الاسكندرية لتدريسه العلوم وقد حملوا معهم مجاميع من الكتب الاغريقية والرومانية والقبطية وقد امر بترجمتها الى السريانية فالعربية حتى ليروى انه اول رجل في الاسلام ادخل الكتب الاجنبية العلمية الى بلاد الجزيرة العربية وعين مترجمين لها ، وان بعثة خاصة قدمت من الاسكندرية برئاسة الراهب ماريوس ، وان اول مستشفى في الاسلام كان بامر الوليد بن عبدالملك سنة ٧٠٧م ، وان اول كتاب في الطب الفه اهرون بن اعين باللغة السريانية وترجم الى العربية من قبل احد الاطباء اليهود المدعو ماسرجويه من البصرة، اما الكتب الاخرى الطبية من اغريقية ورومانية وسريانية فلم تكن متداولة ، وقد بقى كتاب اهرون المترجم الى العربية مختفيا ممنوع التداول حتى اظهره بعض العلماء العرب في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ هـ واستاذنوه في نشره بين الناس للاستفادة مما جاء فيه من فوائد طبية ، فاخذه الخليفة وجمع طائفة من العلماء ليتدارسوه ويخبروه فيما اذا جاء فيه ما يخالف الشريعة ، ولما اخبروه بانه كتاب طبي امر بتداوله والاستفادة مما جاء فيه ..

كل ذلك يدل على ان هناك وعيا ثقافيا ورغبة صادقة للسير في ركب الحضارة المنتشرة في معظم البلاد التي افتتحها العرب. ولقد اتيح لكثير من الاطباء من مختلف الاديان ان يمارسوا مهنتهم في مختلف فروع الطب في العهد الاموي منذ عهد معاوية الاول مؤسس الدولة الاموية ، وبالرغم من انهم اتخذوا الطب مهنة لهم . فانهم لم يغتنم ان يتقنوا اللغة العربية وادبها ليتم تفاهمهم العلمي وطلابهم ، من هؤلاء .

٣- عبدالملك بن ابجر الكناني الطبيب العالم الفاضل، اقام في الاسكندرية في اول امره ودرس الطب على المدرسة الاسكندرانية مدرسة جالينوس ومن بعده ، ويقال انه اسلم بعد فتوح مصر في عهد الامير عمر بن عبدالعزيز قبل ان يصبح خليفة وفي سنة ٩٩ هـ عندما تولى الخلافة ، انتقل الكناني الى انطاكية وحران وفتح معاهد ليعلم فيها الطب وقد اعتمده الخليفة طبيبا خاصا له . ومن اقواله الحكيمة : دع الدواء ما احتمل بدنك الداء ، وروى عن ابن ابجر انه قال : المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه ، فما ورد فيها بصحة ، صدر بصحة ، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم .

٤ - وطبب في عهد معاوية ابن آثال وابو الحكم الدمشقي وابنه الحكم وعيسى بن حكم الدمشقي، وتيادوق طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم كثيرون ، وقد كانت لهم اقوال حكيمة لا تخرج عن الوصايا الطبية الواقية ولكنها كانت تصدر عنهم باسلوب ادبي قويم ، مستمد من لغة القوم الذين يعيشون في كنفهم ، فقد كانت الطبابة مهنتهم اختصوا بها بعد ان تعلموها في مدارس الاسكندرية ثم في جنديسابور وفي الرها (اديسا) او انينا الشرق كما كانت تدعى ثم في نصيبين وانطاكية ، ولم يكن طبهم دجلا ، وانما كان عن دراية في التشريح وعلم الغريزة (الفيزيولوجيا) وتشخيص الامراض بعد معرفة اعراضها ، وفن المداواة ، تعلموا ذلك مما درسوه على ايدي اساتذة مهرة تعلموا من كتب ايبوقراط واوريباسيوس وجالينوس وديسقوريدس .

لقد انتعشت الحركة الطبية في العهد الاموي ولكن ليست بواسطة اطباء وادباء وعلماء عرب بل كان معظمهم من جنسيات وديانات متباينة ، اما العرب فقد كان الحاكمون منهم مندفعين الى تنظيم ادارة الحكم واثبات نفوذهم وسيطرتهم واندفع الباقون الى الادب والشعر والعلوم الاخرى من قبيل علم الحديث وعلم الكلام ووضع اصول ضبط اللغة خشية تسرب العجمة اليها ذلك ان النهرة القومية لا تزال متمكنة والسعي لنشر الرسالة الاسلامية ما زال مطمح الحاكمين في هذه الامبراطورية الواسعة الارجاء ، فكان صوت المؤذن يدوي من الصين الى الاندلس ، وبقى العنصر العربي هو المسيطر المنفذ لاحكام الشريعة التي جاء بها من عند الله رسول الله ، ولكن وعلى حين غفلة من الزمن ، احيط بها وتقوض عرشها بعد ان حكمت حوالي قرن انتشر خلاله وعي ثقافي ومدنية فضلة ، وخلف من بعدها دولة بني العباس ، كما قامت دولة اموية في الاندلس ، كان عبدالرحمن بن هشام او عبدالرحمن الداخل صقر قريش مؤسس كيانها وخالق وحدتها بعد هروبه من سطوة العباسيين ، وكان تاسيس امارته قد تم بعد ست سنوات من قيام الدولة العباسية وذلك سنة ٧٥٦م و (١٣٨هـ) وبقيام الدولة العباسية التي حكمت منذ عام (٧٥٠ - ١٢٥٨ م) و (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) اصبحت مقومات الحضارة جاهزة ليبدأ تاريخ جديد للامة العربية ، ومن ابرز تلك المقومات شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون ، وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد ، وعظمة الجهاز السياسي ، وضخامة المقومات العسكرية ، وقد تنالت هذه المقومات ، واصبح هذا العهد منهلا عذبا شاعت فيه كل فنون المعرفة ، فانتشر الطب والفلسفة والفلك والادب والمنطق والكلام والفقه والحديث ، وكان الاطباء السريانيون في مقدمة من نشط لدعم تلك المقومات ونشرها ، بعد ان قاموا بترجمة كتب الاغريق والرومان من مختلف فنون المعرفة الى السريانية ومن هذه الى العربية ، وكان آل بختيشوع اول من استقدموا من جنديسابور في عهد المنصور وتبعه ابناؤه ثم تلاهم تلامذتهم من العرب الذين نمت ثقافتهم بدراستهم اللغات المختلفة، فامتزجت ثقافات اجنبية بثقافات عربية ازدهرت في هذا العصر ، ولقد كان ممن برع في الترجمة الى اللغة العربية باتقان ، الطبيب المؤلف (يوحنا بن ماسويه) وحنين بن اسحق الطبيب المترجم والفقيه في مختلف اللغات وانتشر الاطباء الادباء العلماء في ارجاء الامبراطورية العباسية الذين ظهر بجانبهم اطباء ادباء علماء آخرون في الدولة الاموية في الاندلس .

من هذا الاستعراض العام لتطور الثقافة العامة والطبية الادبية بصورة خاصة ، سنتناول بعض الشخصيات الادبية الطبية وبايجاز ، من كافة اطراف الدولة العباسية في المشرق والدولة العربية الاموية في الاندلس وفي المغرب العربي مختارين من كل قطر علما او علمين اشتهرا بالطب والادب .

لقد كان من طليعة الادباء الاطباء العلماء الطبيب العالم ، العربي المحتد السرياني اللغة في مهده وبيته والنصراني المذهب، حنين بن اسحق فقيه اللغات العربية والسريانية والفارسية

واليونانية وقيل ايضا كان قد تعلم العبرية ، حرص على تعلم اللغة العربية فاتقنها في البصرة على أيدي تلامذة الخليل بن احمد الفراهيدي، وهو ينسب الى العباد (بكسر العين) وهم قوم من النصارى من قبائل عربية شتى اجتمعوا في الحيرة وانفردوا بين الناس في قصور ابتنوها لانفسهم بظاهر الحيرة ، وتدينوا بدين النصرانية ، وقالوا : نريد ان نسمي انفسنا بعبيد الله .

كان حنين شابا طموحا أبى الا ان يصل الى مبتغاه ، وهو تعلم الطب ، فلاقى من أجل ذلك المحنة تلو الاخرى حتى نال ذلك المبتغى ، درس الطب في بادىء امره في جنديسابور، وكان استاذه يوحنا بن ماسويه . فطرده لكثرة ما كان يلقيه من الاسئلة ، ولم يلبث أن سافر الى بلاد الروم في طلب العلم وقد تعلم ما اراد فحصل على كثير من كتب الحكمة واتقن اللغة اليونانية ولازم بني موسى بن شاكر ، وعاد الى بغداد حيث اشتهر امره وأصبح مقدما لدى الخلفاء والامراء وخاصة في عهد المامون والمتوكل على الله .

ويكاد يكون حنين أول طبيب طبع اللغة العربية الى حد ما بطابع الاسلوب العلمي بما ترجمه اليها وذلك لتمكنه من الفن والعلم الذي يترجم منه واللغة التي يترجم اليها . كان ظهوره في القرن الثالث الهجري واوائل القرن التاسع الميلادي (١٩٤ ـ ٢٦٤ هـ و ٨١٠ ـ ٨٧٧م) ، وقد دعى بحق المعلم ، وهو لقب لا يمنح لصاحبه الا بعددرجة الكمال فيما يقدمه للعلم، وقد ترجم والف في العيون والمنطق والفلسفة وكانت مؤلفات جاليوس في مقدمة الكتب التي لازمها وصحح ما ترجمه غيره منها الى السريانية او العربية باسلوب علمي أدبي جذاب يعتبر من خير اساليب الترجمة التي يتمكن القارىء الدارس من فهمها والتعمق في دراستها ، أما مقدرته العلمية فقد استقاها في بادىء امره من جبرئيل ابن بختيشوع عميد مدرسةجنديسابور ويوحنا بن ماسوية عميد بيت الحكمة في بغداد ..

ولقد مكنته معلوماته العلمية وساعدته معرفته وتعمقه في اللغات على وضع كثير من المصطلحات الطبية والفلسفية في اللغة العربية عن طريق الاشتقاق والمجاز والتعريب ، من اللغة اليونانية والسريانية والفارسية والهندية ، باسلوب ادبي خال من التعقيد الذي كانت عليه الكتب المترجم منها ، فقد اشتق من صيغ مختلفة ، منها ماكان على وزن فعال،كسعال، ووزن فعل (جرب ، سبل) ووزن فعله ، (جمرة ، سعفه ، مفعل كمقدح)، ومفعال (مقراض) ومفعله (محجمة ، امـا المجاز فقد وضع لما جاء من غير اللغات ما يدل على المعنى كوضعه كلمة شعيرة لدمل الاشفار وهي تصغير كلمة حبة الشعير والقرنية والشبكية والمشيمية والملتحمة وغيرها من الاصطلاحات العلمية من مختلف العلوم ، وقد شهد له معاصروه ومن جاء بعدهم بتضلعه باللغات التي يترجم منها أو يترجم اليها ، فمما رواه ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء قوله : (ندرك المدى الذي تميز به حنين على اقرانه من المترجمين وزملائه من الاطباء ما شهد له به جبرئيل بن بختيشوع شيخ اطباء جنديسابور وبغداد في حينه ، حيث قال : فوالله لو مد له من العمر ، ليفضحن سرجس الرأس عيني وغيره من المترجمين وقال عنه استاذه يوحنا بن ماسويه ، حين قرأ بعض ما ترجمه من الكتب المعقدة : ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس ..

لقد عرف حنين بن اسحق في تاريخ الطب العربي والاسلوب الناضج في التاليف والتعريب ، كعالم فزير الانتاج متعدد المواهب ، وان الدراسة الحديثة من قبل الباحثين والمنقبين العرب والمستشرقين دلت على انه من ابرع المترجمين النقلة ومن خيرة المؤلفين العلماء الذين كان اشتغالهم ودراستهم للعلوم الافريقية من اولى المراحل التي بدأ بها العرب يقفزون بها من الترجمة وتلقي العلوم ، الى التاليف والابداع كما يشهد ماكس مايرهوف : ان حنين أول مؤلف ومترجم الف باسلوب علمي لا يقل في دقته وبراعته عما هو عليه في العصور الحديثة. لقد بدات بذكر نبذة عن حنين وقدمته على غيره لاعتقادي بانه اول طبيب عالم طبع اللغة العربية الى حد ما بطابع الاسلوب العلمي على عهد العباسيين بما ترجمه اليها وما الفه بها وهذا نموذج من مقدمة كتاب له في (العين) يقول : انه ينبغي لمن اراد معرفة علاج العين ان يكون بطبيعتها عارفا ، وذلك لان نفي الآلام والعلل من كل عضو اما ان يكون برده الى طبيعته التي خرج منها ، ومعرفة طبيعة كل ما هو مركب انما يكون باحكام معرفة الاجزاء التي هو منها مؤلف ، فكذلك يجب على من اراد معرفة طبيعة العين ان يعلم من كم جزء ركبت ، ما فعل كل واحد منه وما الحاجة اليه وكيف هيئته ومن اين مبدؤه واين منتهاه ، وفي اي موضع هو من العين مع اسباب ذلك .. الخ (من مقدمة كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن اسحق) . ومن أقواله الحكيمة . من وضع علما وصناعة ، كان كمن بنى دارا ومن شرح وفسر ذلك الاصل كان كمن طين سطحها وجصصها ، وليس من جصص دارا وكنسها كمن بناها .

وله ايضا : كل زمان يلائم علما وعادة وصنفا من الانسان.

وله أيضا : من خاف شقاوة الدنيا ما اكتسبه سعادة العقبى .

ومن الاطباء الادباء ، ومن الفلاسفة الحكماء ، الامير ابو يوسف يعقوب بن اسحق ، فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها، كان ابوه اسحق أميرا على الكوفة للمهدي والرشيد ، وكان جده الاشعث بن قيس من أصحاب النبي (ص) كما كان قبل ذلك ملكا على جميع كنده ، ومن نسل كنده نشا الكندي . ولد ونشا في الكوفة ودرس في البصرة والكوفة واصبح من اعلام القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي في عصر انتشرت فيه علوم الدين والفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، فشارك علماء عصره في جدلهم وفي نقاشهم وبحوثهم المتعلقة بالعدل والتوحيد والاستطاعة والنبوة ، وكان اول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين ، ونظريته في العقل تتصل بنظرية العقل عند ارسطو والاسكندر الافروديسي . فاقسام العقل الاربعة هي عند الكندي عقل بالفعل وهو العقل الاول الذي هو علة كل معقول في الوجود وهو (الله) ، وعقل بالقوة في نفس الانسان ، وعقل في الملكة وهو في نفس الانسان بالفعل ويسمى العقل المستفاد وعقل مبين وهو فعل به تبين النفس عما فيها بالفعل ... ويكاد يكون الكندي اول فيلسوف عربي مهد بمصنفاته ونظرياته مجال البحث لمن جاء بعده من الفلاسفة والعلماء . ولقد الف في مختلف العلوم والفنون في الفلك والهندسة والموسيقى والفلسفة والمنطق والطب ، ذكرها ابن النديم في فهرسه وابن ابي اصيبعه في طبقاته وقد بلغت اكثر من مائة وسبعين كتابا ورسالة منها اكثر من ثلاثين رسالة وكتابا في الطب. ومن وصايا الكندي كاديب وطبيب : « وليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر ، فليس عن الانفس عوض » ، وكما يجب ان يقال : انه كان سبب عافية العليل وبرئه ، وكذلك فليحذر ان يقال : انه كان سبب تلفه وموته .. ومن قوله : العاقل يظن ان فوق علمه علما ، فهو ابدا يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن

انه قد تناهى فتمقته النفوس لذلك . وكما كان حكيما اريبا في ادبه وعلمه وطبه كان ينظم الشعر فقد انشد تلميذه احمد ابن الطيب السرخسي بعضا من ابياته التي قالها عن نفسه :

اناف الدنا بي على الارؤس
فغمضي جفونـــك او نكس
وضائل سوادك واقبض يـد
يك وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابـــغ العـلو
وبالوحدة اليوم فاستانس
فان الغنى في قلوب الرجـــا
ل وان التعـزز بالانفـس
وكائن ترى من اخي عسـرة
غني وذي عسرة مفلس
ومن قائم شـــخصه ميت
على انه بعد لم يرمـس
فان تطعم النفس ما تشتهي
تفيك جميع الذي تحتسي

لقد تخرج في مدرسة الكندي الكثير من الاطباء والعلمـاء والادباء من هؤلاء :

الطبيب العالم الاديب احمد بن الطيب السرخسي كان اديبا عالما وطبيبا لامعا ، جيد القريحة بليغ اللسان مليـــح التصنيف حجة في علم النحو والبلاغة ، تولى الحسبة في ايام المعتضد بالله البوبهي وقد كان استاذا له ومستشارا ، ولكنه قتل في عهده سنة ٢٨٦هـ على اثر وشاية فاتهم وادين من قبل عملاء المعتضد . ذكر ذلك القفطي في اخبار الحكماء وابن أبي اصيبعة في عيون الانباء ج١ ص ٢٤٤ .

ومن الاطباء الادباء اللامعين الذين ذاع صيتهم واشتهروا بطبهم وادبهم ، المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان البغدادي عاصر ابن رضوان الطبيب الاديب المصري ، وكانت بينهما مساجلات ومناظرات ادبية طبية شغلت المجتمع الطبي في زمانهما في اواسط القرن الخامس الهجري سنة ٤٤٠ وكان كل واحد منهما يدعي السبق في العلم والادب ولم يكن يؤلف احدهما كتابا او يعالج مرضا مستعصيا الا ويعلم به الآخر. واخيرا ساء التفاهم بينهما واخذ كل منهما يسفه آراء الآخر ويظلمه في مقاله ورأيه وكل منهما يأتي بحجة وبيان ، وكان لكل منهما انصار من الاطباء والادباء ، ومع ما كان بينهما من مراسلات فقد ابى ابن بطلان الا ان يتوجه تلقاء مصر للقاء ابن رضوان في سنة ٤٥٤ هـ . لقد كان اديبا ممتازا اعذب الفاظا واكثر ظرفا واميز في الادب وقد دلت مساجلاته الادبية والطبية على علو كعبه فيهما والذي فسرها في رسالته دعوة الاطباء ، ولكن ابن رضوان اطب واعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلـــق بها . حتى انه كان يرد على ما يراه ابن بطلان ، وكان هـذا ينقم من ابن رضوان قبح خلقته اذ كان اسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة ، وله مقالة يرد فيها على من عيره بقبـــح الخلقة ، وقد بين فيها بزعمه ان الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجهه جميلا . وقد ذكر ابن بطلان في رسالة من رسائله وسمها بوقعة الاطباء ويعرض بابن رضوان بقوله :

فلما تبدى للقوابل وجهـــه
نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن واخذين الكلام تسترا
الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

وكان يلقبه بتمساح الجن . وكان ابن بطلان نصرانيايدعى يدعى يوانيس توفى سنة ٤٤٤هـ (القفطي) .

وهنا وقد عرض معنا ابن رضوان الطبيب المعاصر لابن بطلان فلا بد ان نذكر شيئا ن طبه وادبه فقد نشا عصاميا متمسكا بدينه هذب نفسه وجاهد في سبيل عيشه وكان يقول : لقد عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة وقد درست من كتب القدماء كتبا كثيرة رايت ان اقتصر منها على خمسة كتب من كتب الادب وعشرة كتب من كتب الشرع ، وكتب ابيوقراط وجالينوس في صناعة الطب وما جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس ، وكتب روفس وآوريباسيوس وبولس وكتاب الحاوي ، ومن كتب التعاليم ، المجسطي ومداخله والمربعـــه لبطليموس ، ومن كتب العارفين كتب افلاطن وارسطوطاليس والاسكندر ومحمد الفارابي ، واما سوى ذلك ، اما ابيعه باي ثمن انفق واما ان اخزنه في صناديق ، وبيعه أجود من خزنه ، وكان يناقش كتب من تقدمه ، ويرد عليها وينتقد آراء غيره ويؤلف في الرد عليها ، حتى انه لم يتورع من نقد كتب حنين بن اسحق وكتب الفيلسوف العالم الامام ابي الفرج عبد الله ابن الطيب وكتب ابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، وكانت له نظرية في طلب العلم يدعى فيها ان التعلم من الكتب افضل من التعلم على يد مؤلفيها او على ايدي معلمين آخرين .

وقد رد عليه ابن بطلان باسلوب قوي ومنطق سليم (انظر عيون الانباء ج٢ ص ١٠١ ولا مجال لذكرها ها هنا) .

ولابن رضوان معلومات وافية في بحث اعـــراض الامـراض وتشخيصها وفي الصفات التي يجب ان يلتزم بها الطبيب . فمن تشخيص الامراض بعد معرفة اعراضها يقول : البـــدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحـــد من اعضائه باق على فضيلته اعني ان يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغي) . وكذلك يقول :

تعرف العيوب : هو ان تنظر الى هيئة الاعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتتفقد افعال الاعضاء الباطنـــة والظاهرة ، مثل ان تنادي من بعيد فتعتبر بذلك حالة سمعهوان تعتبر بصره بنظر الاشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشي وانحاء ذلك ، مثل ان تنظر مشيه مقبلا ومدبرا ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما ، وتعتبر بذلك حال احشائه ، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبضوبالاخلاق ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط ، وتعتبر عقله بان يسال عن اشياء وفهمه وطاعته بان يؤمر باشياء واخلاقه الى ما تميلبان تعتبر كل واحد منها بما يحركه او يسكنه، وعلى هذا المثال اجر الحال في تفقد كل واحد من اعضاء والاخلاق ، أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس واما فيمايتعلق بالاستدلال ما يستدل عليه بالعلامات الخاصية ، واما فيما يتعرف بالمسالة فابحث عنه بالمسالة حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل عيب حاضر او كان او متوقع ام الحال حال صحة وسلامة .

ومن كلامه قال : اذا دعيت الى مريض فاعطهما لا يضر الى ان تعرف علته فتعالجها عند ذلك ، ومعنى معرفة المرض هو ان تعرف من اي خلط حدث اولا ثم تعرف بعد ذلك في اي عضو هو وعند ذلك تعالجه . وقد توفى ابن رضوان في سنة ٤٥٣ هـ .

طبيب فاضل وشاعر فحل ، مارس الادب والحكمة اكثر

مما مارس الطب فكان شعره ينم عن فكر لامع وحكمة عالية بغدادي المنشا والثقافة ، اضطلع بالفلسفة والاسرار الكونية وهو ابو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل البغدادي توفى في بغداد سنة ٤٧٤هـ ، له قصائد مثلى في الحكمةوالبحث في ما خلق الله ، ومن قصائده تلك القصيدة الرائية التينسبها البعض الى ابن سينا لعمق ابياتها ودقة معانيها وبعد مرماها، والحقيقة انها للبغدادي الشبل يدلنا على ذلك الكثير من اضرابها والتي هي له .

وجاء في مطلع هذه القصيدة :

بربك أيها الفلك المدار
اقصد ذا المسير ام اختيار

ويقول بعد المطلع :

مدارك قل لنا في أي شيء
ففي افهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء
سوى هذا الفضاء به تدار
وعندك ترفع الارواح أم هل
مع الاجسام يدركها البوار
وموج ذا المجرة أم فرند
على لجج الدروع له اوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا
باجنحة قوادمها قصار

الى ان يقول :

فان يك آدم اشقى بنيه
بذنب ما له منه اعتذار

وهي قصيدة محجلة تدل على علو كعب صاحبها وطول باعه في التفكير بعقلية راجحة وفلسفة عميقة ..

وله قصيدة اخرى رثى بها اخاه احمد .. منها :

لغاية الحزن والسرور انقضاء
ما لحي من بعد ميت بقاء

ومنها :

مثل ما في التراب يبلى الفتى فالحز
ن يبلى من بعده والبكاء

ويقول :

صحة المرء للسقام طريق
وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نفتدى نموت ونحيا
اقتل الداء في النفوس الدواء

ويختمها بقوله :

انما الناس قادم اثر ماض
بدء قوم للاخرين انتهاء

ومن ابيات له في الحكم :

اذا اخنى الزمان على كريم
اعار صديقه قلب العدو

ومن قوله ايضا :

وفي الياس احدى الراحتين لذي الهوى
على ان احدى الراحتين عذاب

اعف وبي وجد واسلو وبي جوى
ولو ذاب مني اعظم واهاب
وآنف ان تعتاق همي خريدة
بلحظ وان يروى صدد اي رضاب
فلا تنكري عز الكريم على الاذى
فحين تجوع الضاريات تهاب

لقد جئنا بذكره بين الاطباء الادباء ، بالرغم من عدم عثورنا على اثر طبي له ، لاننا وجدنا في حكمه وغرر شعره احسن علاج للنفوس وخير دواء للعقل . وقد عده ابن ابي اصيبعة من اطباء العراق الحكماء اللامعين .

وهنا لا بد لنا من وقفة نرجع بها الى من ظهر من الادباء الاطباء ، في بلاد العجم ، فقد ولدوا هناك وتعلموا مبادىء العلم والقراءة في بلادهم ثم جاؤا الى العراق لينهلوا من فيضالحكمة والادب والطب وقد عد ابن ابي اصيبعه منهم قرابة ثلاثة وعشرين طبيبا اديبا حكيما عدا من ظهر في العراق وقد ذكر منهم نحوا من اثنين وثمانين طبيبا معظمهم اذا ما اطلعت على سيرهم وجدتهم ادباء اطباء حكماء وعلماء .

اما اولئك الذين ظهروا في بلاد العجم فقد ولدوا هناك ولكن عبقرياتهم الطبية والادبية والحكمية والفلسفية لم تظهر بلغاتهم بل كان الفضل كل الفضل فيها للغة العربية بعد ان اجادوها واتقنوها وتعمقوا في اصولها وقواعدها وصرفهاونحوها، بديعها وبيانها . وبنظري انه لو لم تكن اللغة العربية ولو لم يهيا لهم المناخ الحضاري في بغداد والدولة العباسية ، لما كان لهم هذا الشان ولما ملؤ الدنيا وشغلوا الناس بما ابدعوه وما اوجدوه وما اضافوه الى علوم من قبلهم . ولذا فقد اصبح من الخطا ان يسموا باسماء اقطارهم او ان ينسبوا اليها . ذلك لاننا كثيرا ما نرى بعض المستشرقين وغيرهم من الكتاب الغربيين والشعوبيين يسمون ابا بكر الرازي بالطبيب الفارسي وابن سينا بالفيلسوف الافغاني او الفارسي والفارابي بالفيلسوف التركي او الفارسي لان اباه كان قائد جيش فارسي فاصبح فارسي المنتسب . ومن قبيل المقارنة نرى ان الولايات المتحدة (امريكا) تعج بالعلماء والمكتشفين والمخترعين وهم من جنسيات مختلفة ولكنالجنسية الامريكية اصبحت هيالغالبةعلىجنسياتهم الاصلية ، فاذا ما اكتشف الماني يعيش في امريكا اكتشافا فلا يقال انه اكتشاف الماني وانما يقال اكتشاف عالم امريكي ، واذا ما نال رجل في امريكا متجنس بالجنسية الامريكية وهو من اصل ايرلندي جائزة نوبل فلا يقال ان هذا الرجل العالم الايرلندي الاصل المتجنس بالجنسية الامريكية هو الذي حصل على جائزة نوبل ، بل يقال ان العالم الامريكي هو الذي نالها ، فالفضل كل الفضل يعود الى الوسط الذي انجب مثل هؤلاء العلماء الادباء الاطباء العرب .

فمن الاطباء العجم علي ابو الحسن ابن ربن الطبري الذي جاء من طبرستان الى العراق وسكن سرمنراى قال عنه ابن النديم في فهرسه : علي بن ربل (باللام) كان يكتب ويؤلف بالفارسية والعربية ، ولما اسلم على يد الخليفة المعتصم قربه وظهر فضله بالحضرة ، وادخله المتوكل في جملة ندمائه ، وهو الذي علم الرازي صناعة الطب ، ومن كلامه (الطبيب الجاهل مستحث الموت) واشهر مؤلفاته كتاب فردوس الحكمة، الفه بالفارسية وترجمه الى العربية ، وهنا يطيب لنا ان ننوه بذكر احد اطباء الفرس المسمى برزويه تميز بصناعة الطب وبالادب الفارسي والادب الهندي فقد اتى بكتاب كليلة ودمنة من الهند وترجمه من اللغة السنسكريتية الى اللغة الفارسية

وقدمه الى كسرى انوشروان بن قباذ فيروز ملك بلاد فارس قبل الاسلام . وقد ترجمه عبدالله بن المقفع الخطيب الى اللغة العربية باسلوب ادبي عربي رفيع .

طبيب كبير عليم باسرار الحكمة والكيمياء ، فيلسوف عالم ولد في الري من بلاد فارس سنة (٢٦٥ ـ ٣٢٥هـ ٨٦٥-٩٢٥م) هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، درس الحكمة والطب والادب ، وتثقف وتفقه في بغداد على ايدي علمائها واطبائها وحكمائها من اشهرهم علي بن ربن الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة . وقد اصبح الرازي من خيرة اطباء وادباء وعلماء عصره ومن اشهرهم . كان منذ نعومة اظفاره يحب الادب والعلوم العقلية ، كان ينظم الشعر فنانا يدرس ويعلم ليعيش حتى قيل انه عمل صرافا في اول شبابه مما دعاه ان يفكر في السعي للتوصل الى قلب المعادن وتحويلها من معدن بخس الى آخر ثمين بغية الحصول على معدن الذهب، كان له شغف بالموسيقى وكان يضرب بالعود . وقد عالج بعد ان اشتهر بالطب بعض مرضاه بالموسيقى وقد ايدت هذه المعالجة الابحاث الحديثة في الطب النفساني . الف كثيرا من الكتب في الطب والحكمة والفلسفة والمنطق ، ومن اشهر كتبه الطبية : الحاوي الذي يعد بحق موسوعة طبية كبرى اعتمد في تاليفه على تجاربه وعلى تجارب من سبقه من العلماء والاطباء وعلى كتبهم ودراساتهم. وكان لا ينكر ذلك في موسوعته ، ومن مؤلفاته في الطب كتابه المنصوري الذي صنفه للمنصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ما يزيد على مئتي كتاب ورسالة ومقالة الفها الرازي في مختلف العلوم والفنون ، وقد ذكر له كتابا في كيفية الابصار بين فيه ان الابصار ليس ناجما عن شعاع يخرج من العين ، وينقض فيه اشكالا من كتاب اقليدس في المناظر قبل ان يفسر ذلك ابن الهيثم ، على اننا لم نجد اشارة لذلك في كتابه الحاوي عند كلامه في البحث عن العين وتشريحها وامراضها .

من اقواله الادبية الحكمية : ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة ، الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم خطر ، الاكثار من قراءة كتب الحكماء والاشراف على اسرارهم ، نافع لكل حكيم عظيم الخطر . ومن اقواله : ينبغي للمريض ان يقتصر على واحد ممن يوثق به من الاطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جدا . فمن تطبب عند كثير من الاطباء يوشك ان يقع في خطا كل واحد منهم .. له ارجوزة شعرية في العلوم المنطقية وقصيدة في العلم الالهي ، وقد وجدت هذين البيتين في الحكمة ذكرها ابن ابي اصيبعة عند الكلام عن حياته في عيون الانباء .

لعمري ما ادري وقد آذني البلى
بعاجل ترحال الى اين ترحالي
واين محل الروح بعد خروجه
من الهيكل المنحل والجسد العالي

وقد اشتهر عليم آخر وحكيم برع في الطب والحكمة والتصوف في بلاد العجم وهو ابو الفرج علي بن الحسين بن هندو ، فقد تتلمذ على ابي الخير الحسن بن سوار بن بابا ابن بهنام المعروف بابن الخمار سنة ٣٢٠ هـ ، وقد كان ابن هندو من خيرة تلامذته ، قال عنه : او منصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر : هو مع ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة وملكه رق البلاغة والبراعة ، فرد الدهر في الشعرواوحد اهل الفضل في صياغة المعاني والشوارد ونظمه الفرائد والقلائد ، مع تهذيبه الالفاظ البليغة وتقريب الاغراض البعيدة، وتذكير الذين يسمعون ويرون ، أفسحر هذا ام انتم لا تبصرون، قال ابو منصور الثعالبي ، وكان قد اتفق لي معنى بديع لم اقدر انى سبقت اليه وهو قولي في آخر هذه الابيات :

قلبي وجدا مشتعل على الهموم مشتمل
وقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

حتى انشدت لابي الفرج بن هندو هذان البيتان :

يقولون لي ما بال عينك مذ رات
محاسن هذا الظبي ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بظلمة وجهه
فكان لها من صوب ادمعها غسل

وله معاني مبتكرة بمناسبات عديدة غاية في البديع ومنها:

اوحى لعارضه العذار فما
ابقى على روعي ولا نسكي
فكان نملا قد دبين به
غمست اكارعهن في مسك

٥ ـ هناك طبيب حكيم عد من عباقرة الادب والحكمة والفلسفة والطب ، نشا في بلاد العجم ، واخذ يتنافس عليه المتنافسون من امم الامبراطورية العربية ولا يزالون فكل يدعي انه من مواطنيه ومن نبات بلاده ، ولكي تعرف الذين لا يعرفون ادبه ولا يعرفونه الا كصاحب القانون والشفاء وكتبه الطبية الاخرى، ذلكم هو الرئيس ابن سينا (٣٧٥ ـ ٤٢٨هـ) و ٩٨٠ ـ ١٠٣٦ م ، ويلقب بالشيخ الرئيس ابن سينا ولد في افشنة من بخارى ودرس العلوم الشرعية والطبية والعقلية حتى اصبح حجة فيها، ولم يقتصر على ذلك بل اتبع ذلك بدراسة الرياضة والفلك والادب ولما يبلغ العشرين من العمر ، وبهذه المناسبة يطيب لي ان اتحدث قليلا عن شاعريته وادبه وقليلا عن طبه .

لقد عاش ابن سينا والادب في عنفوان ازدهاره خاصة ما يتعلق في الشعر والنثر . فالعصر عصر المتنبي وابي العلاء وبديع الزمان والجاحظ ، وكان المجال واسعا لان يضفي المؤرخون عليه الغابا كثيرة فهو الشيخ الرئيس وهو الطبيب الاشهر والفيلسوف والرياضي والباحث في طبيعة الاشياء فلم لا يكون الاديب الشاعر .. لقد عده المستشرق الانكليزي (براون شاعرا من شعراء الفرس وعده المستشرق الالماني ايثه (Ethé) شاعرا غنائيا نظم في الغزل والخمرة وله رباعيات على غرار رباعيات الخيام ، وقد تمكن (ايثه) هذا من العثور على خمس عشرة قطعة من الرباعيات وعلى قصيدتين من مصادر مختلفة .. لقد كان من الممكن ان يكون ابن سينا شاعرا فحلا بعد ان اطلعنا على كثير من شعره ولكن البحث العلمي شغل وقته وحال دون تفرغه للنثر والشعر في الادب ، ومع ذلك فقد اشبع غريزة حب النظم في نفسه ، فقد نظم كثيرا في قواعد العلم والطب واحوال المنطق والتوحيد والغزل والحماسة والفلسفة . وقصيدته العينية المشهورة تدل على طول باعه في الفكر والتعبير وقد تدارسها الكثيرون لدقة تعابيرها وقوة اسلوبها . فابن سينا شاعر فحل ، ويقف احيانا يبكي ويستبكي

ويندب الطلول والرسوم ، ويذكر الحبيب بالعهود وطورا يجمع بين هذا السلوب واسلوب شعراء عصره في الفخامة والجزالة والفخر فهو يقول من قصيدة :

خليلي بلـغ العـذال اني
هجرت تجملي هجـرا جميـلا
واني من اناس مـا احلنـا
على عـزم فاعقبنـا نـزولا
مافينـا وايدينـا اذا مـا
همين رايتنـا نعمي العـدولا
وقفت دموع عيني دون سـعدى
على الاطلال ما وجدت سـبيلا

وهو القائل :

ما لي ارى حكيم الافعال سـاقطة
واسمع الدهر قولا كله حكـم
ما لي ارى الفضل فضلا يستهان بـه
قد اكـرم النقص لما استنقص الـكرم
حولت في هذه الدنيـا وزخرفهـا
عيني فالفيت دارا ما بهـا ارم
كجيفـة دودت والدود منشـؤه
فيهـا ومنها له الارزاء والطعـم
ليسـوا وان نعموا فيهـا سـوى نعم
وربمـا نعمت في عيشها النغم
الواجـدون غنى ، العـادمون نهى
ليس الذي وجدوا مثـل الذي عدموا

الى ان يقول :

اما البلاغـة فاسالني الخبير بهـا
انـا اللسان قديمـا والزمـان فـم

لقد كثر حساد ابن سينا وناقدوه فدافع عن نفسه بالرغم من انهم لم يصلوا الى ما وصله من العلم والفهم وكانوا ينقمون منه عدم اتقانه اللغة ، فالجمهم وتحداهم ومن هؤلاء ابو منصور الجباني اذ قال ان الرئيس لم يقرأ من اللغة ما يرضى . فلم يطق صبرا على مثل ذلك ونظم تلك القصيدة التي قال فيها : (اما البلاغة فاسالني الى آخر القصيدة) . وقد اوردت كتب السير والمؤرخون الكثير من قصائده . وممن اورد منهـا مجموعة من الابيات والقصائد ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء.

والمستمع لبعض قصائده في الفخر والحماسة كانما يستمع الى قصيدة تقرأ للمتنبي ، والقارىء بعض قصائده في الغزل والنسيب كانما يقرأ في ديوان ابن ابي ربيعة .

ان ابن سينا ذو فهم عقلي كبير ، فانه لم يقنع بما حصل عليه من مركز هام ومقعد عال في الطب والمنطق والفلسفة بل شغل مقاما رفيعا في العروض والقريض حتى انه كان ينظم بعض نسخه الطبية (وصفاته الطبية) شعرا . ومما يروى في ذلك : ان الوزير ابا طالب العلوي شكى الى ابن سينا آثـار بثر كان قد المت بجبهته ونظم شكواه شعرا وانفذه اليـه ، والشكوى هي :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبـه
وغرس انعامه بل نشأ نعمتـه
يشكو اليـه ادام الله سـدته
آثار بثر تبـدى فوق جبهتـه

فامنن اليه بحسم الداء مفتنما
شكر النبي له مع شـكر عترتـه

فاجاب الشيخ الرئيس عن سؤال مريضه وعن ما يحتاجه من دواء لبرء دائه بهذه الابيات :

الله يشفي وينفي ما بجبهتـه
من الاذى ويعافيه برحمتـه
اما العلاج فاسـهال يقدمـه
ختمت آخر ابياتي بنسختـه
ولرسل العلق المصاص يرشف من
دم القذال ويغنى عن حجامتـه
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
يدنى اليه شرابا من مدامتـه
والوجه يطليه ماء الورد معتصـرا
فيه الخلاف مدافا وقت هجمته
ولا يضيـق منـه الـزر مختنقا
ولا يصيحن ايضا عند سـخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى
آثـار خير ويكفي امر علتـه

لقد كثر الاطباء المتادبون في المشرق في عصوره الذهبية وذاع صيتهم في الوقت الذي كان فيه المغرب العربي يتطلع ويسمع ما يجري فيه فلم يفته ان يستيقظ ليغترف من منهله العذب ومن معينه الثر ومن معالم حضارته ما يستطيع فبدات البعوث تتوافد من المغرب الى المشرق من بلاد دولة الاندلس ومن المغرب جاء طلاب العلم ليتفقهوا على ايدي علمـاء بغداد والبصرة والكوفة وعلى علماء دمشق والقاهرة . وقد نبغ فيهم من نبغ وعاد الى بلاده يحمل الثقافة المشرقية من حكمة وطب وادب . وكانت كتب المؤلفين من المشرق تصل الى بلاد المغرب والاندلس تباعا ، وكبر حجم التبادل الثقافي بين الطرفين ، ولم تلبث الاندلس ان اصبحت قبلة طلاب المعرفة من البلاد الاوربية المجاورة وقبلة الكثير من المشارقة كما كثر طلاب العـلم مـن الاندلسيين الذاهبين الى المشرق للتفقه في مختلف فنون المعرفة ليرجعوا الى موطنهم يحملون من حكمة وعلوم ، ولقد ظهر في الاندلس اطباء ادباء كثيرون ذكر منهم ابن اصيبعه نحوا من ثمانية وثمانين طبيبا من المتادبين وقد سار معظمهم على طريقة أهل المشرق من حيث التزود بمختلف العلوم والفنون ، كان معظمهم يجيد نظم الشعر والتاليف .

ومن هؤلاء كانت عائلة آل زهر التي اشتهرت بالادب والفقه والطب . نبغ منهم عبدالملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الايادي الاشبيلي ، كان ابوه فقيها ، سافر ابو مروان الى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك وعاد الى الاندلس عالما بالطب والادب وعمل طبيبا في اشبيلية وحصل على ثروة ومال ، وخلف ابنه ابو العلاء زهر بن ابي مروان الذي برع في الطب والادب ، كان بعيد النظر في تشخيص الامراض ومعرفة مختلف اعراض المرض بمجرد النظر اليهم قبل ان يستجوبهم، وبالنظر الى ما في قواريرهم من اخلاط او ادرار ، وقـد يعرف امراضهم بعد جس نبض مريضه ، كان ذا مركز مرموق وكلام مسموع لدى حكام دولة المرابطين ، وفي عهد المعتضد بن عباد ، كان ذا ثقة بنفسه معتدا بعلمه وطبه ، حتى ليقال ان واحدا من وراقي العراق جلب معه من العراق الى الاندلس مجموعة من الكتب منها كتاب القانون في الطب لابن سينا واراد

ان يتقرب لابي العلاء بن زهر فاهداه (القانون) ولم يكن يعلم عنه شيئا من قبل ، فلما تامله واطلع على ما فيه ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه ..

كان ذا موهبة ، الف الكثير في الطب ، ونظم الكثير من الشعر والف في الادب ، من شعره الغزلي قوله :

يا راشقي بسهام ما لها غرض
الا الفؤاد وما منه لهـا عوض
ومعرضي بجفون حشوها سـقم
صحت ومن طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيـال منك يطرقني
فقد يسد مكان الجوهر العرض

ومن شعره الغزلي ايضا :

سمعت بوصف الناس هندا فلم أزل
اخا صبرة حتى نظرت الى هنـد
فلما اراني الله هنـدا وزيهـا
تمنيت ان ازدادا بعدا على بعد

ثم خلف أبا العلاء ابو مروان بن ابي العلاء بن زهر ويسمى ايضا أبا مروان عبدالملك بن ابي العلاء زهر بن ابي مروان بن عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر الذي اتخذ الطب مهنة له ولم يلتفت الى حرفة الادب ، كان صديقا للفيلسوف ابن رشد الف كتبا في الطب وابتدع اصولا وقواعد لبعض العمليات الجراحية منها طريقة استخراج حصى الكلية وفتح القصبة الهوائية ومن اهم كتبه الطبية كتاب التيسير في المداواة والتدبير . وقد ترجم كتابه الى اللاتينية سنة ١٤٩٠ واستمر اطباء اوروبا يستمدون معلوماتهم الطبية والجراحية من هذا الكتاب حتى نهاية القرن السابع عشر .

لقد انجب ابو مروان هذا طبيبا لامعا واديبا شاعرا وفيلسوفا مرموقا ، لقب بالحفيد ، وهو ابو بكر محمد بن ابي مروان بن أبي العلاء بن زهر ، وقد عمل طبيبـا في بلاط الموحدين ، الف رسالة في طب العيون ، وكما امتاز اسلافه بالطب فقد تبعهم وزاد عليهم تمكنه من الادب والشعر ، حفظ القرآن وسمع الحديث واشتغل بالادب وعانى عمل الشـعر واجاد فيه وله موشحات مشهورة يتغنى بها المطربون بعـد ان يلحنها الملحنون ، كان رياضيا قوي البنية خدم في اواخر دولة الملثمين وفي اوائل دولة الموحدين او دولة بني عبـدالمؤمن (٥٣٦ ـ ٥٩٦هـ) ، (١١٤٦ ـ ١٢٠٦ م) ، ومن موشحاته التي اشتهرت ولحنت وانشدت قديما وحديثا موشحته :

ايها الساقي اليك المشـتكى
قد دعوناك وان لم تسـمع
ونديم همت في فرتـه
وبشـرب الراح من راحتـه
كلما استيقظ من سـكرته
جلب الـكاس اليـه واتـكى
وسـقاني اربعـا في اربـع

ومن موشحاته ايضا موشحة لا تقل روعة عن سابقتها برقتها وعذوبة الفاظها ومعانيها ، وهي :

شاب مسك الليل كافور الصباح
ووشت بالروض اعراق الرياح
فاسـقنيها قبل نور الفلـق
وغنـاء الورق بين الورق
كاحمرار الشمس عند الشفق

علم آخر من اعلام الطب والادب واللغـة والفلسفة ، القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد(٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ ـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) . ولـد ونشا في قرطبة ، فهو اندلسي النشاة عربي المعتد ، تفقه في الدين واخذ يدرس الفلسفة وتعلم الطب ، ثم تولى القضاء بقرطبة واشبيلية ، لقب بالشارح لشـرحه كتب ارسطو بتكليف المنصور بن عبدالمؤمن امير الموحدين واللذي عرفه عن طريق ابن طفيل فاكرمه ونعمه وقربه في حاشيته ، ولم يلبث هـذا التكريم ان اصيب بشائبة ، فقد ثارت ثائرةالمتزمتين قام بها العلماء منهم عندما شاعت دراسة كتب ارسطو وعندما اخـذ يتدارسها بعض علماء الاندلس منهم ابن رشد وابو جعفر الذهبي والفقيه ابو عبدالله محمد بن ابراهيم قاضي بجاية وابو الربيع الكفيف ، فاضطر المنصور تجاه حملة اولئك العلماء الى القيام باعتقال كثير من العلماء امثال ابن رشد ونفيهم الى مدن اخرى خوفا من الفتنة . واعتقل ابن رشد في مدينة اليسانه بالقرب من قرطبة حيث فرضت عليه الاقامة الاجبارية . ولكن المنصور ما لبث ان عفى عنه ، فسافر الى مراكش ليموت فيها سـنة ٥٩٥ هـ والظاهر كما يظهر من الدراسة المطولة لحياة ابن رشد ان الخلاف بين المنصور وبينه كان لعوامل سياسية لا مجال لسردها نظرا لما كانت عليه الاندلس من خلافات وانقسامات ادت الى تكون عدة دول دعيت بدول الطوائف .. لقد كان ابن رشد فيلسوفا عظيما وطبيبا حاذقا واديبا مصلحا اجتماعيا نادى بمساواة الرجل والمراة ، من اقواله المأثورة :

من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله . ومن اقواله في المساواة بين الرجل والمراة : (يجب على كل فرد ان ياخـذ بنصيب في اسعاد المجموع ، وعلى النساء ان يقمن بخدمـة المجتمع والدولة قيام الرجل) . وقد حاول كما حاول غيره من علماء المسلمين تقريب الفلسفة من الدين ، وهو يعرف الفلسفة بانها هي النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ، وكلما كانت المعرفة بصيغة الموجودات اتم كانت المعرفة بالصانع اتم .

وطبيب آخر لمع نجمه بالادب واختفى تقريبا في الطب بالرغم من تاليفه فيه وعدم ممارسته له وبالرغم من بلوغه فيه مبلغا لم يصل اليه غيره من اطباء زمانه ، كما حصل من معرفة الادب ما لم يدركه كثير من الادباء ، وكان عالما رياضيا . ذلكم هو ابو الصلت امية بن عبدالعزيز بن ابي الصلت ، اندلسي المولد ، جاء الى مصر عالما يطلب الزيادة في العلم والمعرفة ولكنه لقي عناء فيها اضطره الى الرجوع الى الاندلس سنة ٥١٦ هـ عد ان سجن فيها اثر حادثة ، رواها الشيخ سديد الدين المنطقي في القاهرة سنة ٦٣٢هـ قال :

ان سبب حبس ابي الصلت ، يعود الى ان مركبا كان قد وصل الى الاسكندرية وكان موقرا بالنحاس ففرق قريبا من المرفا ، ولم يكن لهم حيلة في تخليصه لطول المسافة في عمق البحر ، فاستشير ابو الصلت في شان انتشال المركب ، وكان الحاكم على الاسكندرية الافضل بن امير الجيوش ، فاجـال النظر في امر تخليصه بعد تفكير ، وكانت اجابة ابي الصلت للحاكم انه قادر على تخليص المركب ان تهيا له جميع ما يطلبه من الآلات ان يرفع المركب من قعر البحر ويجعله على وجه الماء

مع ما فيه من الثقل فتعجب الامير من قوله وفرح وطلب منه ان يفعل ذلك ، وأتاه بجميع ما يطلب من الآلات مما دعا الى صرف الكثير من الخزينة ، ولما تهيات وضعها في مركب عظيم على موازنة المركب الذي غرق وارسى اليه حبالا مبرومة من الحرير (الابريسم) وأمر قوما لهم خبرة في البحر أن يغوصوا ويوثقوا ربط الحبال بالمركب الغارق ، وكان قد صنع آلات باشكال هندسية لرفع الاثقال في المركب الذي هم فيه وامر الجماعة بما يفعلونه في تلك الآلات ، ولم يزل شانهم ذلك والحبال الابريسم ترتفع اليهم اولا فاولا وتنطوي على دواليب بين ايديهم حتى بان لهم المركب الذي كان قد غرق وارتفع الى قرب سطح الماء ، ثم بعد ذلك انقطعت الحبال الابريسم وهبط المركب راجعا الى قعر البحر ، ولقد تلطف ابو الصلت جدا بما صنعه وفي التحيل الى رفع المركب الا ان القدر لم يساعده ، وحنق عليه امير الجيوش في الاسكندرية لما بذله من مال لهذه العملية التي فشلت ، فامر بحبسه وان لم يستوجب ذلك ، وبقي في الاعتقال الى ان شفع فيه بعض الاعيان فاطلق . ذلك ما يدلنا على براعة امية في الهندسة والتقنية .. يقول ابن ابي اصيبعه ، نقلت من رسائل الشيخ ابي القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي ، قال : وردتني رقعة من الشيخ ابي الصلت وكان معتقلا ، وفي آخرها نسخة قصيدتين خدم بهما المجلس الافضلي امير الاسكندرية اول الاولى منهما :

الشمس دونك في المحل والطيب ذكرك بل اجـــل

واول الثانية :

لان ســـترتك الجدر عنا فربما
راينا جلابيب السحاب على الشمس

ولقد طفت صناعة ابي الصلت على طبه بالرغم من تاليفه كتبا في الطب . توفي امية ابو الصلت سنة ٥٢٩هـ وقال ابياتا امر بان تنقش على قبره وهي :

ســـكنتك يا دار الفنـاء مصدقا
باني الى دار البقاء اســـــير
وأعظم ما في الامـــر اني صـــائر
الى عـــادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف القاه عندها
وزادي قليل والذنوب كثـــير
فان اك مجـــزيا بذنبي فانني
بشـــر عقاب المذنبين جديـــر
وان يك عفو ثم عني ورحمـــة
فثم نعيم دائم وســـــرور

ولننتقل الى اطباء ادباء ظهروا في مصر احصينا منهم قرابة ستين طبيبا ذكرهم القفطي وابن ابي اصيبعه عدا من اضافهم الدكتور احمد عيسى في كتاب ذيل عيون الانباء والدين زاد عددهم على الثلاثين طبيبا بعد القرن السابع الهجري أي بعد عهد ابن ابي اصيبعه وقد سبق ان نوهنا عن احدهم في سياق حديثنا عن ابن بطلان الطبيب الاديب البغدادي وهو ابن رضوان الذي اشتهر بالحذق بطبه والبراعة بادبه .

ومما يلفت النظر ان القرن الخامس الهجري وما بعده كان يعج بالاطباء الادباء من المسلمين والاطباء المحترفين من غيرهم خاصة منهم الاطباء اليهود ، وقد ندر من اتجه منهم اتجاها ادبيا مع حرفة الطب ، فقد كانوا يدرسون الطب والعلوم الاخرى على مشايخها ولكنهم يحترفون الطب للكسب والعيش في ظله ، وكانوا يقتنون مكتبات عامرة في كتب الطب ، يستاجرون النساخ لنقل كل ما تصل اليه ايديهم من كتب الطب والادب والعلوم الاخرى مترجمة الى العربية او مؤلفة من قبل اطباء وعلماء عرب وغير عرب ، ومما يروى عن احد اطباء اليهود وهو افرايم بن الحسن بن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب الذي تعلم الطب على يد علي بن رضوان . انه كان له ولع شديد واهتمام بالغ في استنساخ الكتب حتى اصبحت له خزانة كبيرة منها وكان في داره جناح خاص للناسخين يؤدي لهم ما يطلبونه من اجر ، وكان من جراء اهتمامه هذا ذا مركز مرموق لدى الحكام والامراء ، وقد حصل من ذلك على اموال طائلة من تطبيبه ومن بيعه للنوادر من الكتب الطبية والعلمية ، وكان ينشر الدعاية للكتب التي يمتلكها ، حتى ان كل كتاب يخرج من خزانته يختم بخاتمه وانه اشترى من خزانة افرايم ، ويروى ابن ابي اصيبعة انه حصل على عدة كتب من خزانة افرايم بخط احد النساخ وهو محمد بن سعيد بن هشام الحجري ، ويروى ايضا ان والد ابن أبي اصيبعة حدثه ان رجلا من العراق قدم الى مصر ليبتاع الكتب من دور كتبها فاشير عليه ان يقصد الطبيب افرايم فلما لقيه ، اختار من خزانته قرابة عشرة الاف مجلد ، وكان ذلك في ولاية الافضل بن امير الجيوش (الدولة الايوبية) ولما بلغ الوالي ذلك لم يوافق على نقلها وامر ان تبقى في الديار المصرية ولا يخرج منها كتاب واحد ، ثم سال عن ثمنها الذي اتفق عليه مع التاجر العراقي ، فدفعه الى افرايم وامر ان تنقل جميع تلك الكتب الى خزانته وان تختم بخاتم الافضل ابن امير الجيوش ويؤشر عليها انها من خزانته ، وقد كان في خزانة ابن أبي أصيبعة وخزانة أبيه الكثير من الكتب التي وجد عليها اسم خزانة افرايم والقاب الامير الافضل ، ومع ذلك فقد خلف افرايم هذا خزانة غنية بمختلف الكتب يقرب تعدادها اكثر من عشرين الف مجلد ، عدا ما خلفه من العقارات والاموال ، وبمناسبة كثرة الاطباء اليهود في ذلك الحين لابد لنا من ذكر شيخ من شيوخهم ، اشتهر في الادب والطب والفلسفة واللاهوت ذلك هو ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي كان عالما بسنن اليهود وبعد من احبارهم ، حتى دعي من اجل ذلك بالرئيس موسى ، فقد كان متفوقا بالطب عليما بالفلسفة والادب ، اختصر كتب جالينوس الستة عشر وقد كان الملك الناصر صلاح الدين يقربه من مجلسه ويستطبه وطبب ابنه الملك الافضل عليا ، وقد قيل انه سافر الى المغرب واسلم وحفظ القرآن واشتغل بالفقه وذلك اثر استيلاء عبدالمؤمن بن علي الكومي عليها الذي امر بطرد اليهود والنصارى وحدد لهم موعدا يسلمون فيه او تهدر دماؤهم وتسلب اموالهم فخرج كثيرون منهم من المغرب وبقي من اظهر اسلامه ظاهرا محتفظا بدينه في السر ، ويقال : ان ابن ميمون كان ممن اظهر اسلامه ظاهرا ، واعلن اسلامه ، ولما سلم من العقاب الذي فرض رأى أن يرتحل ويرجع الى مصر ، ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها وقد توفي سنة ٦٠٥هـ واوصى ان ينقل جثمانه الى طبريه في فلسطين ويدفن فيها وقد أيد ارتداده الى دينه اليهودي ابن القفطي كما ذكر ابن أبي أصيبعة .

من العائلات الطبية الادبية التي اشتهرت في البلاد المصرية والشامية عائلة تعرف ببني شاكر لهم تاريخ حافل في نشر مختلف انواع المعرفة ومنها الطب والادب ، يرجعون بنسبهم الى ابي سليمان داود بن أبي المنى بن ابي فانه ، كان من اهل القدس ثم انتقل الى الديار المصرية وكان له خمسة بنين رجع بهم الى القدس ثانية واصبح الاب في خدمة الملك الرومي ماري ، وكان من اولاده الخمسة اربعة اطباء

علماء وادباء ، أما الخامس فكان فارسا مقاتلا يدعى بأبي الخير بن ابي سليمان داود . كان ابنه الاكبر ابو سعيد بن أبي سليمان يمتهن الطب وخدم الملك الناصر صلاح‌الدين والملك العادل ثم انتقل الى مصر وتوفي فيها سنة ٦١٣ هـ . اما موفق‌الدين ابو شاكر الاخ الثاني لابي سعيد فقد درس الطب على والده واخيه وقد توفي في السنة التي توفي فيها اخوه ابو سعيد، وكان الثالث ايضا طبيبا اسمه‌ابو نصر بن أبي سليمان. أما الرابع وهو ابو الفضل بن أبي سليمان فلم يختلف عن‌اخوته وامتهن الطب . وهكذا انجب ابو سليمان داود أربعة اطباء كرام ادباء فضلاء ولم يشذ عنهم سوى ابي الخير اذ اتجه الى الفروسية ولكنه خلف لهذه العائلة فحلا في الطب والادب اذ اصبح فيهما مرجعا ، وعالما حكيما ذلك هو رشيدالدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن ابي سليمان . وقد اشتهر باسم ابي حليقة ، وقد سميت هذه العائلة ومن تبعهم من تلاميذهم وانصارهم (بني شاكر) لشهرة الحكيم ابي شاكر موفق‌الدين عم الحكيم رشيدالدين ابي حليقة وذلك لشهرة موفق الدين بالطب في القطرين المصري والشامي فاصبح كل من له صلة اليه يعد من بني شاكر ، ولو لم يكونوا من اقربائه . لقد نبغ ابو حليقة بالطب‌والادب والف فيهما درسهما على‌والده وعلى علماء مصر والشام ، وقد نظم الشعر وانجب غلاما اصبح طبيبا لامعا سماه مهذب‌الدين أبا سعيد محمد بن ابي حليقة سنة ٦٢٠هـ ، وقد انجب ابو حليقة غلامين آخرين تعلما الطب ايضا وبرعا فيه وهما موفق‌الدين أبو الخير وقد كان طبيباكحالا صنف للملك الصالح نجم‌الدين كتابا في الكحل وعمره عشرون سنة ، اما الثاني فهو علم الدين ابو نصر بن ابي حليقة .

اما في بلاد الشام فقد ظهر كثير من الادباء الاطباء عاصر معظمهم مؤلف (عيون الانباء) ابن ابي اصيبعة وقد كتب عمن قبله وعن من عاصره وعد قرابة الستين طبيبا كان معظمهم من الادباء كما اضاف اليهم الدكتور احمد عيسى في كتابه ذيل عيون الانباء .

ان من جملة من عدهم من الادباء الاطباء في كتابه عيون الانباء كان في طليعتهم ابو نصر الفارابي .

ذكر القفطي في كتابه تاريخ الحكماء اسمه كما يلي : هو ابو نصر محمد بن محمد ابو نصر الفارابي واضاف ابن ابي اصيبعة : محمد بن محمد بن اوزنغ بن طرخان ابا نصر الفارابي . وقد نسب الى بلدة فاراب .

اما صاحب الفهرست ابن النديم فقال : انه من بلدة فارياب من ارض خراسان والصحيح فاراب لا فارياب، وفاراب كما يقول ياقوت الحموي ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك . كان ميلاده ووفاته ٢٥٩ ـ ٣٣٩هـ ، ٨٧٠ ـ ٩٥٠م ، كان طبيبا ذكيا ورياضيا لامعا وفيلسوفا حتى دعي من اجل ذلك بفيلسوف الاسلام او المعلم الثاني ، كانت ثقافته ثقافة فلسفية دينية لغوية حيث درس المنطق على ابي بشر متى بن يونس في بغداد حيث انتقل اليها حوالي (٣١٠هـ) ، وقد درس كتب المعلم الاول ارسطو واتقنها ولذلك اتجه اتجاها فلسفيا ويعتبر من كبار مترجمي الفلسفة اليونانية ، وقد عده ابن ابي اصيبعة من الاطباء الذين عنوا عناية خاصة بالطب الا ان العلامة الدكتور ابراهيم مذكور لا يعترف بهذا الراي ، ذكر ذلك في كتابه تاريخ الفلسفة الاسلامية وقد سار على مذهب معلمه ارسطو في الفلسفة . ويعرف الفلسفة بقوله : اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وتعني كلمة الفلسفة في لسانهم ايثار الحكمة ، فالفلسفة في لسانهم مركبة من‌كلمتين: فيلا ، وسوفيا . فالاولى تعني الايثار والثانية تعني الحكمة ، والفيلسوف مشتق من الفلسفة اي المؤثر للحكمة . وقد سئل ابو نصر من اعلم انت ام ارسطو ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلاميذه ، كان الفارابي موهوبا عالما بالموسيقى ولم ينكر ذلك عليه احد من المؤرخين ، كما اندمج بالفلسفة الارسطوطاليسية وحاول تقريبها من المذاهب الاسلامية الصوفية وقد نجح بالتوفيق في الكثير مما اراده . الف كثيرا في الفلسفة والموسيقى . ومن اهم كتبه كتابه المعروف بالسياسة المدنية وكتابه المعروف بالسيرة الفاضلة ، وصف فيه اصناف المدن الفاضلة ، كتب كتبه بلغة ادبية علمية بعد اجادته اللغة العربية اجادة تامة واصبح بذلك فيلسوفا واماما عربيا فاضلا ويميل في كتاباته وفي اشعاره الى الادب الصوفي فمن ابتهالاته، ابتهال طويل نقتطف منه بعض جمله :

اللهم اني اسالك يا واجب الوجود يا علة العلل ، ياقديما لم يزل ، ان تعصمني من الزلل وان تجعل لي من الامل‌ماترضاه لي من عمل ، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب ، وارزقني في اموري حسن العواقب ، نجح مقاصدي والمطالب يا اله المشارق والمغارب . ثم يقول : اللهم لبسني حلل البهاء وكرامات الانبياء وسعادة الاغنياء وعلوم الحكماء ، هذب نفسي بانوار الحكمة واوزعني شكر ما اوليتني من نعمة ، ارني الحق حقا والهمني اتباعه والباطل باطلا واحرمني اعتقاده واستماعه . هذب نفسي من طينة الهيولى ، انك انت العلة الاولى . وهو ابتهال طويل من هذا النمط والطراز ذو معان عالية وادب رفيع .

وقد قرانا له بعضا من الابيات الصوفية منها :

يا علة الاشياء جمعا والذي
كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز
في وسطهن من البري والابحر
اني دعوتك مستجيرا مذنبا
فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من
كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وله من النظم البديع قوله :

لما رايت الزمان نكسا
وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال
وكل راس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا
به من العزة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحا
لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى
ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم
قد اقفرت منهم البقاع

(يريد بهؤلاء القوم ، مؤلفاتهم) .

له كتب كثيرة في مختلف الفنون والعلوم الحكمية والفلسفية والمنطقية والموسيقية ولم اجد في مؤلفاته مؤلفا خاصا في الطب . ومن اهم كتبه كتاب المدينة الفاضلة والمدينة

الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ، ابتدأ بتاليف هذه الكتب ببغداد وحملها الى الشام في آخر سنة ٣٢٠هـ واتمها بدمشق في سنة ٣٢١هـ وقد اتم فصولها وجعلها كتابا واحدا بفصولها المذكورة في مصر سنة ٣٣٧ ، ومن ظاهر دراستنا له تبين انه تعلم الطب ولم يعمل به .

وهذا طبيب اديب ظهر في الشام ثم سافر الى بغداد والبصرة ورجع الى الشام وتوفي فيها سنة ٥٤٩هـ ، ذلكم هو الشيخ الاديب ابو الحكم عبيدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي الاندلسي المري ، كان فاضلا في العلوم الحكيمة متقنا للصناعة الطبية كاتبا لامعا وشاعرا مطبوعا حسن النادرة ، كثير المداعبة ، محبا للهو والخلاعة ، كان يهوى العود ويضرب عليه ، محبا للموسيقى ، وكانت له عيادة طبية خاصة يعالج فيها المرضى .

له كثير من الشعر وخاصة المجوني منه ، وكذلك القصائد التي يداعب بها اصحابه ومعارفه ، ومن مداعباته انه كان يرثي اصحابه بابيات من الشعر وهم احياء ، كما كان يتلقى الكثير من القصائد التي يهجونه بها اصحابه فيجيبهم بقصائد اقبح واسوأ منها ، له ديوان من الشعر وقصائد اخرى متفرقة .

من مرثياته لاحد زملائه الاطباء ، وهو حي والمسمى نصير الحلبي ، فقد نظمها يرثيه بها وهو حي جاء فيها :

يا هذه قومي انـدبي	مات نصـير الحـلبي
يرحمه الله لقـد	كـان طويـل الذنب
قد ضجت الاموات من	نكهتـه في التـرب
وودهم لـو عوضـوا	منـه بكلب اجـرب
والقوم بـين صـارخ	وممعن في الهـرب
ومنكـر يقـول ذا	اوضع ميت مـر بي
ما ضم بطن الارض	بين شـرقها والمغرب
اخبث منـه طينـة	في عجمهـا والعـرب
يا قوم ما انجسـه	نصبـا على التعجب
اوصافه من فحشه	مسـطورة في الـكتب
وقوله لمنكـر	اسرفت يا معـذبي
اما علمت انـني	شـيخ من اهـل الادب
والنحو والحكمـة و	المنطـق والتطبب

ولقد قرأت له قصيدة عامرة ذكرها ابن ابي اصيبعة في طبقاته (ج٢ ص١٤٩) بعنوان « معرة البيت » يذكر فيها ما ينال صاحب البيت وبيته من اذى وخسارة اذا عمل دعوة لندمائه، وهي تقع في اثنين وثمانين بيتا ، لا تخلو منها دعوة من الدعوات والتي يدعونها بالسهرات الخاصة في العصر الحاضر .

وكما كان في مصر في هذا العهد كثير من الاطباء الادباء ، كان في دمشق وبغداد وبلاد المغرب ايضا ، ولكن الظاهرة التي كانت تسترعي الانتباه ، هي ان الكثير من محترفي الطب في الشام كانوا من النصارى وبعض اليهود اما في مصر فكان محترفوه اكثرهم من اليهود وبعض النصارى ، ذلك لان الاطباء النصارى في الشام استقوا طبهم من مدارس الرها ونصيبين او بالاحرى من المدارس الطبية السريانية التي تعلمتها ، ونقلتها عن المدرسة الاغريقية والرومانية من الاسكندرية منذ هروب نسطوريوس من القسطنطينية الى الاسكندرية وتشتت اتباعه في مختلف بلدان الشرق ونقلوا اليها مخلفات ابيوقراط وجالينوس والى انطاكية في سوريا وجنديسابور في بلاد فارس . اما اليهود الاطباء الذين جاؤا الى مصر فكان معظمهم من مهاجري الاندلس . ثم مهاجري بلاد المغرب جاؤا اليها وامتهنوا الطب ونبغوا فيه حتى دخلوا بيوت الحاكمين والامراء وحصلوا على ثروات طائلة واموال كثيرة.

لقد استمر الادب والطب متلازمين يكاد يتمم احدهما الآخر ، وكلما عز احدهما عز الثاني والعكس لذلك صحيح . ولهذا فقد مر على الاثنين عهد اخذا فيه بالتدهور مجاريا ما حل بعهود الامبراطورية العربية من محن وكوارث ، فقبل سقوط بغداد اخذ الانحلال يدب في مختلف اقطارها والانقسامات الى دويلات تنخر هيكلها مما هيا حفيد جنكيزخان هولاكو ان يغزوها ويقضي على ما شيد فيها من حضارات وذلك في سنة ٦٥٦هـ ، ١٢٥٨م ، وقد كان التنافس على الاسلاب بين التتر والمغول ، فاضطرب حبل الامن ، خاصة في العراق ، واخذت دويلة بعد اخرى تتبادل السلطات، وتتوسيت تلك العصور الزاهية .

كان لم يكن بين المجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

بالرغم من اعتناق الغالبين دين الاسلام في عهد نكوادر خان بن هولاكو سنة ٦٨٠ هـ الذي سمى نفسه أحمد ، واعقبه ابن اخيه بعد ان قتله سنة ٦٨٣ هـ . وتعاقب على الملك في العراقين احفاد هولاكو ، وانتهت الدولة الايلخانية هذه بالتمزق اذ انقسمت الى عدة دويلات ، فاصبح العراقان تحت سلطة غازان بن ارغون الذي اسلم ، فاسلم بعده اتباعه وخلفه ابنه محمد خربنده ، وفي عهد هذا بدات الدولة الايلخانية بالتدهور والانهيار ، وفي عهد السلطان ابي سعيد سنة٧٢٢هـ زار بغداد الرحالة ابن بطوطة وكتب عن ما شاهده فيها من معالم وعن بعض علمائها وحكامها ، وبوفاة ابي سعيد انقرضت الدولة الايلخانية بعد حكم ثمانين عاما ، واستمرت الخلافات وبدأ التناحر بين الحاكمين ونتيجة لذلك تاسست الدولة الجلايرية التي تاسست في عهدها المدرسة المرجانية اذ امر بانشائها مرجان الذي كان مملوكا للسلطان اويس السلطنة وهو ابن الشيخ حسن الكبير الجلايري ، ولا تزال آثار المدرسة المرجانية قائمة الى يومنا هذا ، وقد توفى السلطان اويس سنة ٧٧٦هـ ، وبانهيار الدولة الجلايرية قامت دويلات اخرى في العراقين ، وقد مثيت العراق بعدة نكبات فقد غزاها تيمور لنك سنة ٧٩٥هـ واستمر في سيره حتى دخل بلاد الشام واعمل في اهلها السيف كما فعل ببغداد واهلها ، وفي سنة ٩٠٥هـ ظهرت الدولة الصفوية اذ حمل الشاه اسماعيل الصفوي الذي خضعت لسلطانه بلاد فارس واذربيجان وكردستان وخراسان ودياربكر، حمل على العراق ، واستتب الامر له فيه وولى عليه ابنه ابراهيم خان ، ولما بلغ السلطان سليمان القانوني العثماني ما حل بالعراق من اضطراب في الامن واختلاف الحاكمين والطامعين جهز جيشا بقيادة وزيره الاول ابراهيم باشا من الاستانة فدخل بغداد سنة ٩٤١هـ وفي اثره وصل السلطان بنفسه وبقيت العراق منذ ذلك الحين تتعاقب عليها ايدي الحاكمين حتى استقرت لآل عثمان خلفهم لمدة وجيزة حكم الفرس ثانية ثم ما لبث ان انهار في اوائل جلوس السلطان مراد خان الرابع سنة ١٠٣٢هـ ، وبقي العراق منذ ذلك العهد تحت الحكم العثماني طيلة ستة قرون . لقد كانت البلاد العربية في هذه العهود في طوفان من الفوضى في العلم والادب والطب وبقية الشؤون الاجتماعية بالرغم من سيادة اللغة العربية في البلاد . وكان الطب والادب يسيران ببطء حسب سنة الاندفاع بالقوة السابقة ، ولكن الآية كانت على العكس في بلاد

الغرب خاصة بعد نهضتها في اواخر القرون الوسطى ،وبقيت البلاد العربية خلال الحكم العثماني شبه عقيمة لم تنجب احدا ينبه على ما هي عليه البلاد لينقذها من ورطتها ، ولم ينبغ احد ، ولم تبق معالم بيمارستانات بغداد ودمشق والقاهرة والمغرب والاندلس ، ولم تعد محافل المساجد والجوامع والمدارس اللهم الا اقل من القليل ، في كل قطر من الاقطار العربية اعتمدوا في طبهم وادبهم على كتب السابقين من رجال العصور الذهبية من علماء وادباء واطباء عصر المنصوروالرشيد والمامون من امثال الطبيب البصير الاديب داود الانطاكي من بلاد الشام ٩٥٠ هـ ـ ١٠٠٨هـ و ١٥٤٤ ـ ١٥٩٩م واشتهر بكتابه « تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب » ، ولد بانطاكية وتتلمذ على شيخ فارسي ، قرأ المنطق والطب والطبيعيات والرياضيات واللغة اليونانية فاجادها ، جاء الى مصر واقام بالمدرسة الظاهرية ، ومن اهم ما يحويه كتابه هذا شرحه ووصفه الواضح لنظرية الاخلاط الاربعة ، عدا ما فيه من وصف لمختلف الامراض ومختلف العلاجات لها وظل معمولا به طيلة تلك السنوات التي تكاد تعتبر مظلمة بالنسبة للطب العربي كما كان يعمل بغيره من الكتب التي سبقته ككتب حنين بن اسحق في العيون وكتب الرازي وابن سينا والمجوسي في مختلف فروع الطب . وهانحن ننقل صورة من الاسلوب الادبي الذي كان سائدا في عصر داود .

فقد جاءعنه بقلم مؤرخ عصره شهاب الدين محمود الخفاجي قال عنه : الرئيس داود الحكيم ، ضرير بالفضل بصير ، اذا جس نبضا لتشخيص مرض عرض ، اظهر من اعراض الجوهر كل عرض ، له في كل علم سهم مصيب كثر كلام الناس في اعتقاده ، ونقل عنه رشح قطرات من خفي الحاده ، ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فج عميق ، فقضى نحبه ولقي ربه .. طبعت تذكرته لاول مرة في سنة ١٢٥٤هـ و ١٨٣٨م .

(٤)

هكذا عاشت البلاد العربية في طبها وادبها ، في ظل الاحتلال العثماني ، اقتصر الطب على متطببين كما اقتصر الادب فيها على متادبين متاثرين بالوسط المظلم الذي هم فيه والذي كانت ترزح في دياجيه البلاد العربية ، وكما كانت بغداد مصدرا للاشعاع ، فقد حلت محلها القاهرة لتقوم بنصيبها لاسترجاع ما فقدوذلك في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بعد غزوة نابليون اذ جاء يحمل معه ثقافة جديدة وعلماء واطباء بنوا ثقافتهم واستمدوها من مخلفات ثقافة بادت ولكنها لم تنقرض فقد نقلت الثقافة العربية والعلوم والفنون الى اوروبا في عهد نهضتها ثم طورتها وسارت بها قدما الى الامام باعتراف مؤرخيها وعلمائها وقد صاغوا من اولياتها حضارة جديدة ، جاء ببعض منها الى مصر نابليون في حملته مع ما تحتاجه من مطابع وكتب . وانشا خلالها مجلات وصحفا فكانت البذرة الاولى ، وبعد اندحار نابليون كانت البذرة قد انبتت واثمرت بقيام محمد علي باشا الكبير حاكم مصر اذ تبنى ما خلفه من قبله واخذ يرسل البعثات الى اوروبا واستقدم العلماء والاطباء وكان من المهم الطبيب الفرنسي كلوت باشا الذي كان في الوقت المناسب اذ اجتاحت مصر وافدة جائحة من وباء الطاعون في سنة ١٨٣٠م كان ضحيتها الالوف من السكان فكان يهلك فيه كل يوم اكثر من الفي شخص ، فهب هو ومعاونوه وتمكن من القيام بمهمته لحصر الوباء وانقاذ من يمكن انقاذه وسلمت مصر بذلك من دمار وهلاك ، ثم اعقب هذا الوباء وباء آخر وهو الجدري اذ قام بمكافحته كما كافح الطاعون ، وقد اشتهر بجديته في العمل وسهره المتواصل على صحة البلاد ذلك انه لم يلبث ان اسس مدرسة طبية في ابي زعبل الحق بها مستشفى ثم نقلهما الى القاهرة في سنة ١٨٣٢م وانشا مجلس الصحة ، وقد بقي مشرفا على الكلية الطبية والمستشفى في قصر العيني حتى سنة ١٨٥٨ كما كان طبيبا خاصا لوالي مصر محمد علي باشا ، ولم يقصر في استقدام الاطباء الفرنسيين وارسال البعوث من المصريين الى الغرب للاستقاء من معين جديد . وقد رجع الكثير منهم علماء اخذوا يدرسون الطب والعلوم الاخرى ويؤلفون الكتب ليتعلم بها طلاب المدرسة الطبية من قبل اساتذة مصريين واجانب .

وقد رافق كلوت بك ابراهيم باشا بن محمد علي باشا في حملته على الشام ففتحها سنة ١٨٣٢م واستمر في الاستيلاء على الكثير من ممتلكات الامبراطورية العثمانية وكان في معية كلوت باشا طبيبان مصريان مجازان من القصر العيني هما الشيخ علي شورى وولده الشيخ عبدالرحمن وقد مر في رحلته هذه ببيروت وصيدا وعكا وحيفا وجبل الكرمل في عهد الامير الشهابي في لبنان ، ورافقه عند نزوحه من الشام الى مصر جماعة لدراسة الطب في القصر العيني .

وعلى اثر خروجه من الشام سمحت السلطات الحاكمة للارساليات التبشيرية بدخول البلاد السورية منها فرنسية واخرى انكليزية وامريكانية وانخذت الطب في باديء امرها ميدانا للتبشير وكانت الارساليات الفرنسية هي البادئة اذ دخلت البلاد في اواخر القرن السابع عشر الميلادي ، ولقد كان ظاهرها انسانيا وباطنها السعي للتخلص من الحكم العثماني ، وقد كان اهل البلاد يبادرون الى الاتصال بهم للاستفادة مما جاؤا به من علم وفن وادب مما دعا تلك الجمعيات الى تاسيس مدارس لتعليم الطب والادب واللغة ، وكانت البلاد العربية فقيرة في اطبائها سوى من تخن بهم عليها دار الخلافة الاستانة حيث كانت تمول البلاد العربية ببعض الاطباء الاتراك وبمن استطاع من ابناء البلاد العربية التخرج في كلية الاستانة ، لذلك فقد كان لتاسيس كلية طب اميركية في بيروت صدى حسن في البلاد العربية فالتحق فيها مجموعة من طلاب هذه البلاد العراقي والسوري والمصري وقد تم تاسيسها في النصف الاخير من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٦ م في الوقت الذي تم افتتاح كلية طب الاستانة في اوائله ، وقد بدأ التدريس في الكلية الاميركية في بيروت في اول افتتاحها باللغة العربية واستمر طيلة خمسة عشر عاما ، استعمل فيها الكثير من المصطلحات الطبية العربية والعلوم الاخرى ، وقد تخرج في هذه الكلية اطباء وزعماء وادباء وعلماء من بينهم الدكتور عبدالرحمن الشابندر الزعيم السياسي الطبيب الاديب السوري ومنهم العالم الباحث الطبيب الاديب المؤرخ سامي حداد اللبناني والدكتور عبدالرحمن الكيالي الزعيم والخطيب السوري، وقد تاثرت البعثات التبشيرية الفرنسية بما قامت به الجمعيات التبشيرية الاميركية فانشئت لها كلية طبية فرنسية في بيروت ايضا سنة ١٨٨٣ م ، دعيت بالكلية الطبية اليسوعية تخرج فيها كبار الاطباء من ادباء وسياسيين وعلماء عراقيين وسوريين ولبنانيين ومصريين ومن المغرب العربي ، وقد خدم معظمهم اللغة العربية والادب العربي بما وضعوا لها من مصطلحات ومعاجم اذكر من هؤلاء الدكتور حبيب صادر من لبنان والدكتور حنا خياط من العراق .. ثم لم يلبث ان جاء دور دمشق ، اذ استطاع رواد اللغة العربية ومحبوها من اقناع الحكومة

العثمانية بتأسيس كلية طبية بدمشق تتبع كلية طب الاستانة بمناهجها ولغتها التركية فوافق السلطان عبدالحميد واصدر امرا بانشاء مدرسة طبية في دمشق وباشرت عملها في سنة ١٩٠٣ واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ وقد سدت ابوابها خلال سنوات الحرب بصورة موقتة ، وقد تخرج فيها وفي كلية الصيدلة التابعة لها مائة وعشرة اطباء (١١٠) ومائة واثنان وخمسون صيدلانيا . وفي سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية وعندما استيقظت الامة العربية وتخلصت من الحكم العثماني عاد افتتاح المعهد الطبي ومعهد الصيدلة لتدرس الطب والصيدلة باللغة العربية حتى يومنا هذا وتعد الجامعة في دمشق بمختلف فروعها مفخرة من مفاخر الامة العربية لما اوجدته من مصطلحات وما الفته من كتب علمية وطبية وادبية في لغة العرب مفخرة اللغات .

اما العراق فلم يكن في شانه مختلفا عن غيره من البلاد العربية التي بقيت رازحة تحت ظل الحكم الاجنبي طيلة قرون، فلم يكن يختلف عن بقية الاقطار العربية من حيث افتقاره الى اطباء وعلماء ادباء خلال الفترة الفكرية المظلمة فليس هناك كليات تقوم بتادية رسالاتها ، لقد كانت مدرسة للحقوق وبعض المعاهد الاخرى لا تتعلق بما نحن بصدده ، اذ كان حبيسا ليس باستطاعته القيام بكل ما يصبو اليه ، ولكن وهيا ثقافيا اخذ ينتشر ويزداد مما حدا ببعض من آتاهم الله بسطة من الرزق وفهما لليقظة العارمة التي اخذت تزداد في معظم الاقطار العربية المغلوبة على امرها ، اقول مما حدا بهم الى ارسال ابنائهم الى اقطار اخرى تتوفر فيها معاهد للطب وللعلوم الاخرى ، وكانت المحجة لهم اذ ذاك هي الاستانة عاصمة الخلافة فقد نفر من مختلف طوائف العراق جماعات ليتلقفوا بعلوم حديثة في الطب والادب والحقوق وبعض العلوم الاخرى وقد عادوا بعلومهم وثقافتهم ولغتهم بلغة الاقطار التي تلقفوا بها ولم يعر في اذهانهم شيء من لغة بلادهم او ادبها الى ان تم عزم الحكومة على انشاء كلية للطب والصيدلة في سنة ١٩٢٧ وقد تم افتتاح كلية الطب في سنة ١٩٢٧ م ليدرس الطب فيها باللغة الانجليزية ، واذا ما عدنا الى المغرب فلم يكن شانه امام اللغة العربية الا كشان بلاد المشرق العربي .

ولنرجع الآن بدورنا الى ما كانت عليه اللغة العربية والادب العربي في اثناء تلك المحن والازمات التي منيت بها البلاد العربية ، لقد كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية السائدة حتى ان اللغة العربية كانوا يعلمونها الطلاب باللغة التركية ، وندر ممن تصدى للغة العربية من الاطباء الذين انجبتهم كلية طب الاستانة والكليات الاجنبية الاخرى فقد رجعت عدة دفعات من الاطباء العراقيين في نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ وابان الاحتلال الانكليزي للبلاد العربية هي وفرانسا ، فبدلت الاوضاع عن ما كانت عليه من حيث الثقافة ومن حيث اللغة ، هكذا نقول عن بقية الاقطار العربية شرقيها وغربيها قسم منها سيطر عليه الانكليز وقسم سيطر عليه الافرنسيون واصبحت اللغة العربية في محنة هي وادبها وعلمها وكاد العرب ينسون ماضيهم الحضاري ، ذلك انه لم يضف شيء ولم يمن بما خلفه العرب من ادب وطب وعلوم اخرى ، لقد تنوسي ذلك التراث الفخم لا في العراق فحسب بل في جميع الاقطار العربية التي منيت بحكم الاجنبي ، اما لماذا تنوسي ذلك التراث ولماذا اضطرت البلاد العربية لان تجزع من ماضيها ويتناسى المثقفون من الاطباء وغيرهم من المثقفين ادبها من شعر ونثر ، وتفقه في لغتهم ؟ لقد كانوا مكرهين في ذلك لا خيار لهم في امرهم ، اضطرتهم لكل ذلك ظروف حياتهم القلقة . فقد كانوا خاضعين لدول لا تمت اليهم بصلة حسب او نسب . سيطر على العراق الفرس فالترك وتلاهما الانجليز . وسيطر على الشام الترك فالفرنسيون وعلى مصر الترك فالمماليك ثم الفرنسيون وجاء بعدهم الانجليز ، وهكذا نقول عن المغرب ، اما بقية اقطار شبه الجزيرة العربية فقد كانت اللغة العربية هي السائدة ولكنها كان يتداولها الناس لا للعلم وانما هي رمز حي للمخاطبة والمكاتبة، وقد دفع كل ذلك الاجيال الصاعدة في بادىء الامر الى ان يسيروا على نهج ما وجدوا عليه آباءهم ، اما المثقفون فانهم لجاوا الى تعلم لغة المستعمر واضطروا الى تعلمها لغرض كسب العيش واهمال لغتهم تارة بالاكراه كما كان يحدث في بلاد المغرب العربي وطورا بالاغراء بايفاده الى خارج بلاده لينسى لغته ويتثقف بثقافة تنسيه لغته الام وتاريخها وامجادها متبوئا مركزا مرموقا ومقاما محمودا ، ولقد كان يطيب للمستعمر ان يلهج المواطن العربي برطانة لغته وان يبتعد عن لغة بلاده ، وكان له ما اراد ، حتى تعددت اللهجات في البلد الواحد وكثر خلط الالفاظ الاعجمية بالفاظ اللغة العربية وكانت غايته طمس معالم التحسس بالقومية والتفكير بالحضارة السامقة لعلوم الامة العربية وآثارها بل كانت رغبته ان تكون اللغة الاجنبية هي اللغة الام وان تكون لغة البلاد هي اللغة الاجنبية ، وهكذا اضطر العربي تارة بدافع الاكراه وطورا بممارسة الاغراء الى ان يتغاضى عن لغة بلاده والاندماج مع الاجنبي ولغته واصبح لكل قطر لغة خاصة ولهجات متباينة في اللغة العربية نفسها ومفردات عربية برطانة اجنبية او اجنبية بتلكؤات عربية فكانت كما قال عنها حافظ ابراهيم رحمه الله :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الالوان مختلفات

وهكذا كبا جواد اللغة العربية الاصيل ، ولكن الكبوة لم تكن مقعدة شديدة الاذى ، ولم يكن الجرح عميقا اذ مالبث ان تم تجبير الكسر واندمال الجرح بعد زوال الحكم العثماني وبعد القضاء على الاستعمار وتخلص البلاد العربية من كابوس الانجليز والفرنسيين ، وفي خلال تلك السنوات الحالكة كان يظهر من حين الى آخر بعض الرواد الحريصين على ايقاظ الرقود من الذين تنسموا الحرية في بلاد الغرب والذين كانوا يحرقون الارم للنهوض بلغة الضاد وبعثها من جديد وشن حملات من وراء الستار على الدخيل في اللغة العربية من اللغات الاجنبية ، وبدرت البذرة الاولى في بلاد الشام بالرغم من سوط الاستعمار في حينه اذ بقيت متمسكة بتراثها الاصيل وابت الا ان تجعل اللغة العربية اساسا لطبها وعلومها وآدابها ، وهب الحريصون من شبيبها وشبابها للتنقيب في خزانات مكتباتها ومتاحفها وخزانات ومكتبات العالم العربي والغربي لكي يحيوا لغة الضاد وتم لهم ما ارادوا فطالبوا الحكومة العربية في البلاد والتي تأسست بعد تقسيم البلاد العربية باعادة افتتاح المدرسة الطبية العثمانية التي كانت فرعا لكلية طب الاستانة منذ سنة ١٩٠٨م ، فتم للمطالبين بذلك ما ارادوه اذ افتتحت في سنة ١٩١٩ باسم المعهد الطبي العربي وبدات الدراسة فيها باللغة العربية وشقت طريقها لتسير قدما الى الامام بخطى متزنة ولكن الطريق كان مليئا بالاشواك في ذلك الحين ، والنية كانت معقودة على عدم التراجع ، فافتتحت في كانون الثاني سنة ١٩١٩ ، واختير لها الاستاذ الدكتور رضا سعيد الكحال المعروف الذي اصر على ان تكون اللغة العربية هي لغة التدريس وانتسب الى المعهد الطبي في سنته الاولى نحو من اربعين طالبا كما تقدم

للتدريس جماعة من الأساتذة الأطباء الأفاضل في طليعتهم الأستاذ الدكتور حمدي الخياط والاستاذ الدكتور مرشد خاطر والاستاذ الدكتور جميل الخاني وغيرهم ، ولكن الاعلام الثلاثة هم السابقون في الحلبة وقد كان عليهم ان يضعوا الالفاظ ويهيؤا لها المعاجم وينحتوا المصطلحات وقد قوبل التدريس في اللغة العربية في بادىء الامر مقابلة غير ودية ذلك انهم ادعوا ان اللغة العربية غير جديرة بتحمل مثل هذا العمل الجبار ، غير ان الاندفاع استمر واخذت الاوساط العلمية من مختلف البلاد العربية تؤيد هذه الانتفاضة ، واستمر فيض المصطلحات العلمية بالازدياد بالنحت والاشتقاق والرجوع الى كتب العربية الطبية في عصورها الذهبية فكثر التاليف والانتاج ، وفي خلال نصف قرن اخرج المعهد الطبي العربي الوف الاطباء تعلموا طبهم وأدبهم بلغة عربية صحيحة سليمة وانتشروا في البلاد يبشرون بمطلع فجر جديد للغة العربية ، ولقد ساعد في تشجيع هذه الخطوة المباركة من اول ابتدائها المجمع العلمي العربي في دمشق حيث قام علماؤه الخالدون بعد ما استطاع من توجيهات ومناقشة مصطلحات طبية وعلمية وادبية لا تزال خالدة في مؤلفات علماء المعهد الطبي . ونظرا لنجاح هذه الخطوة بوشر بفتح فروع للمعهد فاسس معهد للصيدلة ومعهد لطب الاسنان ووضعت لهذين الفرعين المصطلحات والفت لهما المؤلفات وكان اساتذة المعهد وعلماء المجمع العلمي العربي يزودون المعهدين بالمصطلحات الموجودة والموضوعة ، وكان افتتاحهما في مطلع عام ١٩٢٤م وكانت كلية للحقوق ثم كلية للاداب والعلوم ، فاندمجت هذه الكليات لتكون نواة لجامعة ولم يلبث ان اعلن تشكيل الجامعة السورية ، واصبحت جميعها تدرس علومها بلغة عربية سمحاء معطاء لكل ما تتطلب الحاجة اليه بالنحت والترخيم والاشتقاق عدا ما هو موضوع من قبل ، وقد ازدانت الجامعة السورية بمجلتها التي دعيت بمجلة (المعهد الطبي العربي) وكان الغرض من اصدارها يهدف الى خدمة اللغة العربية واحيائها ووصل العلم القديم بالحديث ونحت مصطلحات جديدة لمسميات لا حصر لها اوجدها العلم الحديث، وما ان صدرت هذه المجلة حتى استبشر بها كافة العلماء الناطقين بالضاد ، واصبحت منبرا للعلماء والاطباء من مختلف ابناء البلاد العربية من مصر والعراق ولبنان وفلسطين والمغرب العربي كما ساهم بها بعض المستشرقين العاكفين على دراسة اللغة العربية ومصطلحاتها وكان يشرف عليها ويراس تحريرها حتى وفاته الاستاذ العالم الدكتور مرشد خاطر أحد اساتذة الجامعة السورية .. ولقد كان الرعيل الاول من اساتذة الجامعة هم اول من وضع اللبنة الاولى في مشروع تعميم التعريب والتدريس الاكاديمي في اللغة العربية وتلقين الجيل العربي امكان لغتهم من السير مع ركب الحضارة الحديثة جنبا الى جنب وكان في طليعة المتاثرين بهذه اللغة والمتفقهين فيها الاستاذ الدكتور نظمي القباني والدكتور الصيدلاني صلاح الدين الكواكبي والدكتور شوكت موفق الشطي ، والدكتور ممدوح الصباغ والدكتور عزة مريدن والاستاذ الدكتور حسني سبح الذي اصبح فيما بعد رئيسا للجامعة ثم رئيسا للمجمع اللغوي في دمشق ، ولم يقتصر وضع هؤلاء للمصطلحات العلمية بعد ضبطها او نحتها وتاصيلها بل كانوا ينقبون في بطون الكتب القديمة ويستنسخون عن اصولها في الادب والطب والكيمياء والفلك ويسترشدون بالذين هم اعلم بكل فرع من فروع العلوم مسترشدين بقوله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) ومستمدين مما كان يضعه اساتذة القصر العيني في مصر ومستعينين بالافراد من العلماء كالاب انستاس الكرملي من العراق والاستاذ الدكتور امين المعلوف من لبنان والدكتور محمد شرف من مصر وحسن حسني باشا من المغرب والاستاذ عبدالقادر المغربي الذي كان يعيش في سوريا والاستاذ محمد كرد علي والامير مصطفى الشهابي الذي وضع المعجم الطبي العربي الانكليزي ، وبين ايدينا معجم طبي فرنسي وضعه الدكتور كلارفيل الفرنسي ونقله الى العربية الاساتذة في المعهد الطبي في الجامعة السورية الدكتور الاستاذ احمد حمدي الخياط والاستاذ الدكتور مرشد خاطر والاستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي وطبع طبعته الاولى باربع لغات هي الفرنسية واللاتينية والانكليزية والالمانية وطبع ثانية بلغات سبع هي اللغات الاربع المذكورة واللغة العربية واللغة الاسبانية والايطالية ، وقد ضم هذا المحيط بين دفتيه معظم المصطلحات الطبية والعلمية التي وضعها اساتذة كلية الطب بدمشق ، وقد اصبح مرجعا يحتاجه كل طبيب عربي .

هذا ما كان في سوريا او في بلاد الشام منذ اواسط القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بعد النهضة العلمية التي قامت في المشرق والمغرب بعد غزوة نابليون لمصر .

اما في العراق فكان الطب والادب فيه فقيرين ، لبعد الشقة بين اشقائه وصعوبة المواصلات وقلة المطبوعات خاصة في العهد العثماني وفي اوائل عهد الانتداب البريطاني لغاية ١٩٣٢م ، وقد كانت طليعة الاطباء العراقيين المجازين قد جاءت من الاستانة بعد الحرب العامة ، تعد على عدد الاصابع وكانت لغتهم الطبية مزيجة من اللغة التركية والفرنسية والعربية وكان في مقدمتهم المرحوم الاستاذ الدكتور هاشم الوتري والدكتور ابراهيم عاكف الالوسي والدكتور اسماعيل الصفار والدكتور سامي شوكة والدكتور صائب شوكة والدكتور فائق شاكر والدكتور توفيق رشدي والدكتور جلال العزاوي واطباء آخرون ، ولم يكن لهؤلاء حظ من اللغة العربية وأدبها ولكنهم بالطبع كانوا يودون من الصميم أن تكون اللغة العربية من بين اللغات العالمية التي يدرس بها الطب وغير الطب من العلوم الاخرى ، غير ان الرياح كثيرا ما تاتي بما لا تشتهي السفن ، فقد داهم العراق احتلال بريطاني جاؤا ومعهم اطباء في الباطنية والجراحة وببعض امراض الاختصاص الاخرى وبذلك استبعدت اللغة العربية عن الطب وبدات الرطانة الاجنبية هي السائدة في الوسط الطبي العراقي ، الا أن فكرة تطوير اللغة العربية بدات تتفلفل في الاذهان بعد ان شم المثقفون انسام الحرية وبعد ان شاعت فكرة القومية والعروبة واهمية احياء التراث الفداء بما حدث في بقية الاقطار العربية خاصة في مصر وبلاد الشام ، لذلك لم يتوان العراق عن محاولة السير في ركاب القومية العربية ونشط الكثير ممن تثقف في خارج العراق وعرف معنى النهضة الفكرية والتعلق بالوطن وقدر ما للوعي والارشاد من أثر في انتزاع الحق وارجاعه الى ذويه . لقد نشطت الدعاية للغة العربية وشاعت فكرة تاسيس كليات في العراق على نمط ما كانت عليه كليات بعض البلاد العربية الاخرى ، ولقد اخذت المطالبة والنشاط والمتابعة تزداد لمطالبة اولي الامر بالقيام بتاسيس كلية للطب والصيدلة وطب الاسنان ، وقد نتج من كل ذلك تحقيق الغاية المنشودة فتقرر افتتاح كلية الطب على أساس فكرة تاسيس جامعة تدعى بجامعة آل البيت من فروعها كلية الطب والحقوق والآداب ، وغير ذلك . تم ذلك في سنة ١٩٢٧ م وبوشر بالتدريس فيها وكان التدريس فيها باللغة الانجليزية ، لفقدان الاساتذة العرب المتمكنين من التدريس باللغة العربية ، لقد بوشر بالتدريس من قبل اساتذة انجليز

جاؤا في حملة الاحتلال البريطاني وكان يساعدهم بعض من الاطباء العراقيين الذين تعلموا اللغة الانجليزية نتيجة الدراسة والتتبع والاختلاط ، كما استقدم بعض الاطباء العرب المتخرجين في كليات اجنبية ، وسارت الكلية سيرا حسنا تخرج فيها جماعة من الاطباء العراقيين اثبتوا جدارتهم في مهنتهم خاصة بعد رجوعهم من جامعات الغرب اثر ايفادهم للتخصص فيها .

لم يفكر المسؤولون باللغة العربية لاعتقادهم بصعوبة ايجاد من يضطلع بمهمة التدريس فيها خاصة وان البلاد كانت ولا تزال بحاجة ماسة الى عدد كبير من الاطباء ولذلك استمرت اللغة الانجليزية هي لغة التدريس في الكلية الطبية ، وصرف النظر عن فكرة التدريس باللغة العربية ، ولذا استمر التدريس باللغة الاجنبية سيرا على النمط الذي تسير عليه كليات الطب في مصر ولبنان عدا دمشق التي استمرت بتدريس الطب باللغة العربية بعد ان نجحت نجاحا باهرا في اخراج الاطباء وتاليف الكتب المستمدة لغتها العلمية من خزائن كتب الاقدمين من العلماء والاطباء العرب ووضع المصطلحات الحديثة من كنوز هذه اللغة العظيمة ، اما في غير سوريا فقد تنوسيت اللغة العربية ففي الدراسة الاعدادية كانت اللغة العربية تعد من الدروس التي لم تعط من الاهمية ما تستحقه من تشويق واعزاز كما كانت اللغة الانجليزية لا تؤهل طلاب الاعدادية المتخرجين من استقبال الدروس الطبية بها ، ولذا كان يلاقي الطالب في بدء الدراسة صعوبات كبيرة، وقد يسهل تذليلها بعد استمراره في الدراسة والممارسة ، وقد اصبح المتخرج من كلية الطب متقنا للغة الطبية ، ولكنه لا يعرف عن ادب اللغة الاجنبية التي درس بها الطب شيئا ، اما عن ادب لغته العربية فادهى وامر اذ قد نسي كل شيء عنها بل حتى عن تصريف فعل من افعالها ، ولدى عودته من التخصص في الخارج ، يكون قد جهل الكثير من الفاظها وربما استعان بكلمة اجنبية نسي اسمها بلغته الام ، ولهذا كان حال طلابنا يختلف عن حال غيرهم من طلاب الاقطار العربية الاخرى . ففي مصر مثلا كان يوفد الطالب الى الخارج وهو متمكن من لغته الام ادبا ولغة وصرفا ونحوا فيعود بلغة اجنبية وهو متمكن منها ادبا ولغة ونحوا وصرفا ومتمكن من لغة الفرع الذي اوفد من اجله فلا يعجز عن الكتابة بلغته الام نثرا في الطب اذا كان طبيبا وفي الفيزياء والكيمياء والرياضة وبالفعل كان هناك سيل من الكتب المترجمة الى اللغة العربة تدرس في كافة مراحل الدراسات الاولية والاعدادية وكانت معظم الاقطار العربية تعتمدها في تدريس ابنائها ، كانت لغة سليمة بمصطلحات عربية صحيحة اما في غير مصر وسوريا فكما نوهت قبل قليل ، فانه يرجع خالي الوفاض من لغته حيث ياتي وهو قد نسي كل شيء واصبح من العسير على المثقف طبيا او علميا ان يتذوق ادبا من ادب لغته او قصة او قصيدة او ان يكتب مقالا او يترجم كتابا اللهم الا القليل ممن دفعهم الحرص على قوميتهم او دفعتهم الهواية او التقليد ، ومن هؤلاء ظهر كثير في سوريا (بالطبع) وفي مصر ولبنان والعراق ايضا الا اننا هنا لم نكن كثيرا في هذا المضمار ففي مصر اذكر مثالا عن طبيب قديم بالنسبة لتاريخنا الحاضر وفي عهد الخديويات ، وكان هذا من زمرة من يغلب على اتجاهاتهم الصبغة الدينية والادبية هذا الطبيب هو ابراهيم حسن باشا، ولد بالقاهرة سنة ١٨٤٤م واوفد الى فرنسا والمانيا وتخصص بالطب الشرعي في برلين ، الف عدة كتب في فرعه هذا وفي الامراض الباطنية وكتب في الادب كل ذلك بلغة ادبية عربية سليمة . وكان اول تخرجه في القصر العيني بالقاهرة ومن امثاله كثيرون . ومع براعتهم في اختصاصهم وتفرغهم له كانوا ذوي علم وادب ونظم شانهم وطريقة تعلمهم لا تختلف كثيرا عمن ذكرنا عن بعضهم في عهود الاطباء الادباء في العصر العباسي ، اما في اوائل القرن العشرين فقد كان الطبيب الاديب يشار اليه بالبنان لندرتهم ولتغير الحالة الاجتماعية على اختلاف شؤونها، وقد ظهرت بوادر الاهتمام بالادب والطب بصورة جماعية تقريبا وشارك في ذلك المهندس والعالم وكانت ارض الكنانة مصر العربية مربعا للابداع في الادب والشعر والطب فقد قامت جماعة دعت نفسها ب (جماعة ابوللو) واصدرت مجلة للشعر والادب يكتب فيها الطبيب والمهندس والعالم والاستاذ الجامعي وكان يراس تحرير مجلة (ابوللو) الطبيب الاديب العالم احمد زكي ابو شادي الطبيب الجرائيمي والمعروف بكتبه الطبية وبدواينه الشعرية ، ومن اشهر كتبه الطبية (الطبيب والمعمل) الذي كتب مقدمته العالم الاديب الطبيب محمد خليل عبدالخالق استاذ الصيدليات سابقا في الجامعة المصرية في القاهرة ، وقد صدر كتابه هذا ب (٩١١) صفحة من القطع المتوسط ، ومن اشهر دواوينه الشعرية (الشفق الباكي) ١٩٢٦م ، وديوان اشعة وظلال وكانت مجلة ابوللو قد صدرت سنة ١٩٣٢ واصبحت ميدانا للذوي المواهب الادبية من مصر وبقية اقطار البلاد العربية ، كما كان من الادباء الاطباء الذين الفوا في الادب ونظموا القوافي الدكتور الاستاذ سعيد عبده والدكتور الاستاذ مصطفى الديواني والدكتور الشاعر ابراهيم ناجي والدكتور اللغوي الاديب محمد شرف صاحب المعجم الطبي الانجليزي العربي والمعروف باسمه (معجم شرف) والدكتور الباحث اللغوي والمؤرخ الاديب احمد عيسى . وكما كان ادباء اطباء في مصر فقد لمعت اسماء اطباء ادباء علماء في لبنان بهرتهم اللغة العربية بمتانتها وفنانها ومرونتها ، فكتبوا فيها والفوا الكتب والمعاجم ومن هؤلاء العالم الاديب الدكتور سامي حداد الذي اشتهر بمكتبته ومخطوطاته الطبية والادبية وكتاباته في تاريخ الطب العربي والعلم العربي والدكتور حنا غصن المؤلف والكاتب في الطب والادب والاستاذ الدكتور مصطفى خالدي صاحب الابحاث الادبية والثقافة الصحية وراس الكثير من الجمعيات الخيرية وجمعيات التوعية الصحية والمؤلفات التوجيهية ، والاستاذ الدكتور نيقولا فياض ، والاستاذ الدكتور يوسف حتى صاحب المعجم الطبي (انجليزي عربي) والدكتور حبيب صادر وغيرهم ، على ان الذي بز الجميع في بعث اللغة العلمية والطبية العربية هم اساتذة الجامعة السورية في مختلف كلياتها وذلك بما وضعوه من مصطلحات وما استخرجوه من مفردات من بطون خزائن المخطوطات العربية التي كانت نهبا للاغبرة والفناء لو لم تتلقفها ايديهم وايدي علماء آخرين من مختلف اقطار العالم شرقية وغربية ، اما المغرب العربي فقد كان مضطرا للوقوف موقف المتفرج لبقائه تحت حكم الاجنبي ، ولكن ما كاد يحل عقاله ويتنفس الصعداء ويتحلل من قيود الاسر والاستعمار حتى نشطت حكوماته واخذت بالتطلع الى مستقبلها ومستقبل لغتها العربية الام فبدات تنشيء دور التعريب لتغير معالم تاريخها الذي بقي سنين طويلة تحت حكم الاجنبي ولغته ، وراحت تستمد من اشقائها العرب العلماء وفقهاء اللغة الذين يجيدون اللغات الاجنبية والعربية اجادة تامة وتاسست لديها دور التعريب لارجاع كل شيء فيها الى اصله ولكي تصبح اللغة العربية هي اللغة الاصلية في البلاد، وكانت مجلة اللسان العربي التي يصدرها دار التعريب في المغرب العربي المنبر العالي للم شتات ما كان خفيا عن ابناء هذه البلاد واصبح ابناؤها يعتزون بهذا الحدث الجديد الذي كلل استقلالهم باكليل النصر والعزة القومية ذلك هو تعريب كتبهم وقوانينهم

وتعليم ابنائهم بلغتهم الام . وهكذا بدا في المغرب وتونس والجزائر وموريتانيا ظهور عهد بعث اللغة العربية وعهد انفتاحها في اوائل الستينات من هذا العصر .

اما العراق الذي كان النهل العذب في ماضيه الحضاري في الطب والادب ومختلف العلوم ، وكان موئل طلاب العلم والادب والطب للاغتراف من خزائن كتبه وعلم علمائه وطب نطاسييه فقد افل نجمه وتداعت اركان معاهده وخزائن كتبه واختفت تلك الاضواء ، نتيجة ابتلائه بحكام ليس لهم من العلم شيء واندفاع الغرباء من الاعاجم المستعمرين ، الذين ارادوا ان يطمسوا معالم لغته ويطفئوا البقية الباقية من الاشعة المتبقية من العهود الماضية ، ولكن الله ابى الا ان يبقي تلك ، فما لبث ان بدا ينفض عن راسه ذلك الغبار ليستعيد مجده وتراثه ويسير مع ركاب اشقائه في البلاد العربية الذين سبقوه في مسيرتهم ، ومنذ الثلاثينات او قبلها بقليل من هذا القرن بدا العراق يستقبل جماعات من بعثاته الطبية والعلمية ويستدعي جماعات اخرى من اطباء وادباء البلاد العربية الذين حلوا محل الاطباء الاجانب من هنود وانكليز . وكان من الرعيل الاول الذين تعلموا في الاستانة واتجهوا اتجاها طبيا وعلميا وادبيا الدكتور الاستاذ هاشم الوتري المولود في بغداد سنة ١٨٩٣ والمتخرج في كلية طب الاستانة سنة ١٩١٨م ، وقد زامل الاطباء الانجليز في بغداد فاتقن اللغة الانكليزية واتجه الى دراسة اللغة العربية وكتبها الطبية حتى دعي بحق بشيخ الاطباء لاتجاهه الى تدريس الطب في كلية الطب في بغداد واهتمامه بالتاليف والتعريب ، وقد ساهم في خلق كيان طبي صحي في العراق ، رأس الجمعية الطبية في تاسيسها وعهدت اليه عمادة كلية الطب وتدريس الامراض الباطنية فيها وانتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي ، كما حصل على لقب (زميل الكلية الملكية الطبية البريطانية M.R.C.P.) ورأس تحرير مجلة الكلية الطبية العراقية التي كان ينشر فيها الكثير من المصطلحات الطبية في اللغة العربية وما يقابلها في اللغة الانجليزية وكانت مقالاته الطبية العلمية يصدرها بلغة عربية سليمة ، وقد توفي رحمه الله في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٦١ م ودفن في بغداد .

طبيب عالم اديب ساهم في استعمال المصطلحات العربية الطبية في كتاباته ومؤلفه الطبي المعروف بالطب العدلي . هو الدكتور حنا خياط اول وزير صحة في الحكومة العراقية الوطنية سنة ١٩٢١م تخرج في الكلية الطبية اليسوعية في بيروت . ولد في سنة ١٨٨٣ وعين مديرا للصحة العام سنة ١٩٢٢ كما شغل عمادة الكلية الطبية ١٩٣٤ - ١٩٣٦ وتوفي في ٣٠ نيسان سنة ١٩٥٩ .

وممن اشتهر في العلم والتاليف والطب الدكتور داود الجلبي وكان مهتما بكتب التراث الطبي والمصطلحات الطبية العربية . ولد في سنة ١٨٧٩م ، تخرج في كلية حيدر باشا الطبية في تركيا سنة ١٩٠٩ وعمل في الجيش العراقي حتى اصبح مديرا للامور الطبية فيه ، وقد خلف مكتبة جليلة حوت كثيرا من المخطوطات الطبية والتاريخية والعالية ، اختفى الكثير منها بعد وفاته سنة ١٩٦٠ ، واودع الباقي في مكتبة المتحف في الموصل وكان عضوا مؤازرا في المجامع العلمية في بغداد ودمشق والقاهرة .

استاذ طبيب ومؤلف مارس الطب والتعليم في العراق ، جاء الى العراق قادما من لبنان بعد تخرجه في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٢٥ ، انتقل الى وزارة المعارف بعد ان عمل في مختلف المؤسسات الصحية فعين رئيسا لعلوم الحياة في دار المعلمين العالية ، وكان عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي ، الف كتبا في الصحة واستعمل اصطلاحات عربية وما يقابلها باللغة الاجنبية توفي سنة ١٩٥٣ ، ذلكم هوالدكتور شريف عسيران .

وطبيب لبناني الاصل ايضا كان له باع طويل في الطب والادب ، ولد في لبنان سنة ١٨٧١ وبعد تخرجه طبيبا مارس الطب واستخدم في الجيش المصري ثم انتقل الى الحجاز حيث عين طبيبا في حكومة الملك حسين وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى جاء الى دمشق مع الملك فيصل الاول حيث اخذ يدرس في المعهد الطبي من الجامعة السورية فاضطر الى البحث والتنقيب لايجاد مصطلحات طبية عربية تحل محل المصطلحات الاجنبية فكان له من ذلك خير معين للتضلع في الادب واللغة العربية واصبح كفؤا للقيام بما عهد اليه واختير عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق فبدأ يكتب في مجلة المجمع ،وفي مجلة المعهد الطبي وفي المقتطف المصرية ، وعند سقوط الملكية في سوريا رافق الملك فيصل وجاء الى العراق ليمنح رتبة فريق ويصبح مديرا للامور الطبية في الجيش العراقي وبعد انتقاعد عاد الى مصر حيث توفي سنة ١٩٤٣م .

اما الاستاذ الدكتور الباحث ناجي الاصيل فقد ولد في بغداد سنة ١٨٩٥ وبعد اتمام دراسته الرشدية والاعداديةسافر الى الاستانة للالتحاق بكليتها الطبية حيث درس مبادىءاولية طبية ولم ينه دراسته فيها اذ انه جاء الى بيروت للالتحاق بالجامعة الاميركية فيها فتخرج في كليتها الطبية سنة١٩١٦ م ورجع الى بغداد ولم يمارس مهنته كطبيب ممارس بل اخذ يبحث ويدرس وينقب عن المخطوطات في خزائن ومكتبات بغداد وغيرها من المدن العراقية فمارس التاليف والكتابة وعين مديرا عاما للاثار العراقية حيث جعل من مجلة سومر العراقية منبرا لابحاثه وكتاباته ، وقد تولى في بغداد سنة ١٩٦٣ م وقد اشغل منصب وزارة الخارجية في الحكومة العراقية في العهد الملكي .

ومن الاطباء الادباء المعاصرين الدكتور اسماعيل ناجي والدكتور معمر خالد الشابندر رحمهما الله . وقد جاء ذكرهما في كتابنا الذي لم ينته بعد بعنوان « الاطباء الادباء المعاصرون في العراق » .

كما جاء ذكر اطباء ادباء آخرين منهم الطبيبان الاستاذان الدكتور محمود الجليلي والدكتور عبداللطيف البدري وقد شغل الاول منهما منصب الاستاذية في جامعة بغداد ثم رئيسا لجامعة الموصل كما اسندت وزارة الصحة الى البدري ثم رئاسة القسم الجراحي من جامعة بغداد فرئيسا لها ، والعالمان هما الآن عضوان عاملان في المجمع العلمي العراقي .

ومن الاطباءالادباء الاستاذ الدكتور داود سلمان الذي عشق الادب واللغة العربية وتاريخ الطب العربي ، كان استاذا في كلية الطب في بغداد ثم عميدا لها .

ومن هؤلاء العالم الاديب الاستاذ الدكتور كمال السامرائي الاستاذ في جامعة بغداد .

وهناك اطباء آخرون يهوون الادب ويستسيغونه ولكن اللغة العربية تحول دون ما يشتهون ، هذا ما دعا الحكومات العربية الباقية التي تدرس جامعاتها العلوم بلغات اجنبية ان تتجه اتجاها قوميا بعد ان مسكت زمام امرها بيدها واصبحت

حرة باستقلال كل شيء فيها ، وقد نشطت حركة التعريب لجعل تدريس العلوم بلغة اهل البلاد بلغة عربية فنية في كل شيء في مادتها واصولها واصبح دعاة هذه الفكرة يسيرون بجد واهتمام بتوجيه من حكوماتهم وتشجيعهم ماديا ومعنويا وسن قوانين تحول دون التوقف ، وقد اخذت كل دولة تؤدي ما تستطيعه فانشئت دور التعريب ونشطت المجامع العلمية في مختلف الاقطار العربية بعد ان علموا وتأكدوا مما كان يبيته المستعمرون للقتهم ، وقد دفعتهم الغيرة للنهوض بهذا العبء الجليل ، كما حز في انفسهم ان يروا امما لا تملك لغة كلغتنا، وقد اسسوا جامعاتهم ودرسوا بها بلغتهم الام ، ففي تركيا وفي ايران وفي الصين وفي اليابان ، وحتى اسرائيل جميع دراساتهم الاولية والابتدائية والثانوية والجامعية والدراسات العليا تتم بلغاتهم بعد ان طوروها وحوروها ليجعلوا منها لغات حية وهي بلا شك اقل سعة وغناء من اللغة العربية ، فاللغة التركية واللغة الفارسية والعبرية وحتى اللغة اللاتينية لا تخلو اصولها من الفاظ ذات اصل عربي ، وها هي اللغة الاسبانية والفرنسية والانكليزية تشهد على ما فيها من اصول عربية. واننا لمنتظرون اليوم الذي يقال ان هؤلاء من اتباع المدرسة العربية كما يقال اليوم ان هؤلاء هم من اتباع المدرسة الانكليزية او المدرسة الفرنسية او المدرسة الروسية . ولا نظن ان مثل هذا اليوم ببعيد ، ذلك ان النهضة العربية الحديثة اصبحت في ضحاها واصبح الاتجاه فيها يهدف الى اعلاء شان اللغة العربية في جميع مضامرها ، علميا وتقنيا ، ومن بشائر هذه النهضة ، المشروع الضخم الذي عنيت به جامعة الدول العربية وجعلته في مقدمة مشاريعها ، ذلك المشروع هو احياء التراث العربي وانشاء دور للتعريب في كل قطر عربي ، ولقد كان العراق في مقدمة اقطار الجامعة في تبني نصيبه من المشروع ولم يقصر في البذل والعطاء في الفكر والمادة في سبيل انعاش المشروع ونجاحه ، ذلك لما احتوته خزانات مكتباته من صنوف كتب المعرفة ، وما لرجاله وعلمائه من غيرة وحمية منذ كانت بغداد ام الحواضر والحضارة .

مصادر البحث

من المصادر :

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة باشراف شفيق غربال . القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) عصر المأمون ، الجزء الاول ، د. فريد رفاعي .

(٤) تاريخ الطب العربي ، امين اسعد خيرالله ، المطبعة الاميركانية سنة ١٩٤٥ ، بيروت .

(٥) مجلة اللسان العربي التي تصدر في المغرب عن دارالتعريب تحت اشراف الجامعة العربية ، المجلد الحادي عشر ج١ ص٢١١ ، د. عبدالحليم المنتصر .

(٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء ج١، ج٢ لابن ابي اصيبعه، وقد كان عمادنا في كتابة هذا البحث .

(٧) اخبار العلماء تاريخ الحكماء للوزير جمال‌الدين القفطي . مطبعة السعادة ، القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

(٨) تاثر الثقافة العربية بالثقافة اليونانية . اسماعيل مظهر، منشورات دار المقطف ـ القاهرة .

(٩) تاريخ الطب العربي للكلير ج١ جزان طبع في باريس سنة ١٨٧٦ (فرنسي) .

(١٠) الفهرست لابن النديم ، طبع باشراف المستشرق فلوجل مطبعة الرحمانية ، القاهرة سنة ١٣٢٨ (جزء واحد) .

(١١) الكتاب الذهبي لمهرجان ابن سينا ، طبع تحت اشراف الجامعة العربية سنة ١٩٥٠ .

(١٢) العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، تاليف اولدو ميبلي وتعريب الدكتور عبدالله النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، مطابع دار القلم ، القاهرة ١٩٦٢ م ١٣٨١هـ .

(١٣) كتاب التعريف بطبقات الامم للقاضي صاعد بن احمد الطليطلي المتوفى سنة ٤٦٢ .

(١٤) كتاب حكماء الاسلام للبيهقي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، مطبعة الترقي سنة ١٩٤٦ .

(١٥) الاثر العلمي للحضارة الاسلامية واعظم علمائها قدري حافظ طوقان . من منشورات دار المقتطف ، القاهرة .

(١٦) مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ، تاليف حنين بن اسحق ، تحقيق الدكتور الرمدي ماكس مايرهوف . المطبعة الاميرية ، القاهرة سنة ١٩٢٨ م.

(١٧) تاريخ الطب العراقي . عبدالحميد العلوجي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٠م .

(١٨) مختصر التاريخ ، تصنيف ابن الكازروني ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، سنة ١٩٧٠ م.

(١٩) مجلة لغة العرب (مشاهير كتاب العراق بقلم (عش)ج١١ السنة الثانية ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م . ، مطبعة الاداب بغداد .

(٢٠) معجم الاطباء ، ذيل عيون الانباء ، لابن ابي اصيبعة ، تاليف الدكتور احمد عيسى، مطبعة فتح‌الله الياس نوري‌واولاده بمصر سنة ١٣٦١هـ وسنة ١٩٤٢م .

(٢١) مآثر العرب في الطب ، مجلة العروبة ، عدد تموز ١٩٣٦ للدكتور سامي حداد .

(٢٢) مقدمة تاريخ العلم لسارتون .

(٢٣) توحيد المصطلحات ، الفريق الدكتور امين باشا المعلوف، مجلة المعهد الطبي العربي ، العدد الاول ، المجلدالتاسع ١٩٣٤م ـ ١٣٥٣هـ ، والعددان الثاني والثالث .